جامعة الجزائر

معهد اللغة و الأدب العربي

٥٣١
ق ١١١
٥٨٨

القصة الطفلية في سورية

بحث

أعدته الطالبة الانسة : إلهام ديبة

وتقدمت به لنيل شهادة الماجستير

باشراف

الدكتور زكريا صيام الأستاذ بجامعة الجزائر

عام 1986-1987

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢
٥١٢٤

الهـــام ديـــــة

((القـــصّـــة الطفليّـــة في ســـوريّـــة))

بحـث مقـدّم لنيـل شـهادة الـدراسـات العليـــــا

(الماجســـتيـــر)

معهـد اللـغـة والأدب العـربـي - جامعـة الجـــزائـر

1987 - 1986

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاهـــــــداء

الـــى

واحـــــــة أمـــلـــــي الخضـــراء

المتجـــدّرة في أعمـــاق أعـــاقـــي

الـــى أمـــــي

أهـــدي ...

بـــراءة الطـــفـــولـــة... ودفء فـــدهـــا

المتـــكـــوكب في ...

وجـــــدان هـــذه الأمّـــــــــة .

الـــهـــام دبـــــة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

همسة

كثيرا ما يقف الانسان حائرا أمام العالم الغيبي، فتتيبّس الكلمات على شفتيه ... وتضيق اللغة على سعتها ... وكيف لا ؟ وهو يحاول أن يعبّر عن كينونة الانسان المتمثّلة بالنفس الصافي الذى يوجّهه في طريقه الشائك عبر متعرجات هذا البحث .. ! !

أليس من الصعب أن نجسّد ما نكنّه من احترام وتقدير لمعلمنا ومرشدنا الذى يدير دفّة هذا الزورق البحر في العباب ...؟؟

أتوفّى كلمة الشكر حق الدكتور زكريّا صيام المشرف على بحثي هذا ؟ .

أظن أن الكلمات عاجزة عن الشكر... لأن الاشراف عمليّة وجدانيّة، جديرة بالاجلال والتقدير، فهي لا تقل أهميّة عن كتابة البحث نفسه...

ولذا وجدت نفسي مقصّرة كلّ التقصير،عندما تختصر هذه المسافة الشاسعة في بضع كلمات .. ! ! فعذرة أستاذي الجليل ...

انّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ...

الهام ديبة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كلمة عرفان وشكر

أوّل ما يتبادر الى ذهن الانسان وهو يسلسلم أوراقه العشرة ، فيرتبها .. أن يتذكر بعمق وعفويّة ، تلك الفترة الخصبة والممتعة التي قضاها في رحاب الجامعة ، والتي أعطته الكثير ... الكثير ، وأهّلته بأن يكون انسانا مسلّحا بعلمه وثقافته في المستقبل.

وهل يعقل أن ينسى أجمل فترات حياته .. ؟؟ .

انّه لجميل حقّا أن يعترف الانسان بالجميل ، وهذا أضعف الايمان في رأيي ...

فالى الجامعة الجزائريّة بمشرفيها الأكارم ، وأساتذتها الأفاضل .

أقدّم أحرّ شكرى وامتناني ...

الهام ديبة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملخص البحث

الموقف صعب ... وهل هناك أصعب من أن نختار الانسان موضوعا يراهن فيه على زمنه الآتي ؟ . أليس من الحرج أن نحدد ملامح ما نختار في لحظة تفصل بين الخيط الأبيض والخيط الأسود ؟ لحظة تتزاحم فيها المواضيع ، وتتشابك أغصان المناوين .. ؟

حقا ليس من السهل أن نختار ، فالاختيار يحتاج الى الدقة وسعة الاطلاع . وقيمة ما يقدّمه الباحث الى المجتمع من معلومات جديدة وأفكار هامة ، وتقييم واع يحمل على أجنحته ما كان ... وما يكون .. ، وما يجب أن يكون .

ولا أخفي انني كنت متردّدة لدى اختيار موضوعي ... الذي ينضوي تحت عنوان : (القصّة الطفليّة في سوريّة) . فالموضوع بحر متلاطم الأمواج ، يحلو منه الزبد أحيانا فيغطّي ما ينفع الناس ... ولكنّه بالتأكيد سيأتي يوم لا يثبت فيه الا ما ينفع الناس . لقد حاولت جاهدة أن أكون موضوعيّة في العرض والتقييم ، ولا أدري ما اذا كنت وفّقت أو أخفقت ... ؟

ورأيت قبل أن أبحر في زوق هذا البحث أن أرسم صورة مصغّرة لما جاء فيه :

نفسي التمهيد ألقي نظرة سريعة على الأدب الذي هو أبديّة الزمن في كبرياء الحرف المضيء ... الواقف كالأشجار ... المتغلغل في رئة الأمّة ، وكيف ان الأديب الحق ذو موهبة تؤهّله أن يوظّف الثقافة توظيفا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصيلا وفاعلا ، ويعمّق دوره الاجتماعي والسياسي بعيدا عن الافتعال والمواربة والتصنّع. فالكتابة في حد ذاتها وجع دائب ، لأنها تشكّل مستقبليّة الأجيال ، وترسم ملامح وجه الأمّة عبر تاريخها الطويل ، وانه لمن الصعب جدا أن تتمركز الكتابة في موضوع شمولي يلمّ الأزمنة دون أن يعني الأديب معنى هذه الأزمنة.

كما نوّهت الى عمليّة انتقاء الرمز، وكيف ان وعي الأديب في هذا الجانب يشكّل اضافة جديدة للحياة ،

أمّا اختيار الموضوع فهو عمليّة تعطي وجهة نظر الأديب ، كما تعكس قدرته على ربط الظواهر التي تبدو متباعدة ، وايجاد العلاقات المنطقيّة بينها ، وتضيف الى جانب ذلك أصالة وعمقا لحقائق العصر .

وخلصت الى القول بأن الأدب شكل من أشكال الوعي الانسانيّ الصادق الذي يتعامل مع حقائق الحياة ، وظواهرها الأصيلة ، ولا يمكن أن تكون ولادة الكلمة التي هي أساس تكوين الأديب ولادة قسريّة ، لأنها ولدت حرّة كما ولد الانسان حرا ...

وبعد ذلك قسّمت البحث الى بابين :

ـ الباب الأول : نشأة القصّة الطفليّة ، مراحل نموّها وتطوّرها ،

ـ الفصل الأول : القصّة الطفليّة في سوريّة ، ومقارنتها بمثيلاتها في الوطن العربي والعالم .

استعرضت فيه بايجاز كيف ان الكتّاب العرب اتجهوا بكتاباتهم اتجاها واقعيّا نتيجة تأثرهم بالظروف والتغيرات في وطننا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العربي ، رغم ان هذا الأدب قد ظهر على شكل تلقيني في معظمه ، ثم بدأ يتحلل من ذلك روبدا روبدا شأنه شأن الترجمة التي أخذت تتضاءل في السنوات الأخيرة .

وقد لفتُ الانتباه الى ان كتّاب أدب الأطفال في وطننا العربي أمام تحد صعب يتمثّل في تطوير هذا الأدب ليسهم اسهاما حقيقيا في العمليّة التربويّة بكل أبعادها ، ومحتواها الثقافيّ والاجتماعيّ والسياسيّ . فالكتابة للأطفال من أخطر أنواع الكتابة لانها تتعلّق مباشرة بخلق أجيال الغد . ولا بدّ لنا والحالة هذه أن نُحَيِّد الطفل العربيّ على الأقل من خلال الكتابة عن الواقع المأساويّ الذى يعيشه الوطن والمواطن في هذا الزمن . ولا يكون ذلك في رأيي إلّا اذا طوّرنا عالمه الروحي لتتطوّر مقدرته على التخيّل والتصوّر ، وتتسع مداركه لاستيعاب الأشياء بطريقة مبسّطة وحيويّة دون اغراقه في بحار الترجيّة أو الرمزيّة الا بمقدار ما يخدم نفسيّة الطفل . وانتهيت الى ان الآداب العالميّة عملت على غرس هذه الروح في نفسيّة الطفل ، واشباعها دون أن تثقلها أو تخلق نوعا من أنواع السأم أو الملل فيها . . . من خلال محورين رئيسيين فرضهما تباين الأنظمة السياسيّة : المحور الرأسمالي ، والمحور الاشتراكي .

فالأول أخذ بعين الاعتبار في معظم الأحيان ، حاجات الطفل المتعلّقة بنفسيته وحاسيته وطبيعته . إلّا أن الأولويّات في نشر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أدب الأطفال تخضع الى حد كبير للناحية التجارية، فانتاج كتب ومجلات الأطفال يعتبر مصدرا هاما لدخل الناشرين الذين اكتشفوا ان أدب الأطفال يشكل مادة جيدة للنشر.

وعرضت في هذا المحور أدب الأطفال في الدول الأوروبية: انكلترا، ألمانيا الاتحادية، الدانمارك، السويد، النرويج وفرنسا مرورا باسبانيا، والولايات المتحدة الأمريكية.

أما بالنسبة للمحور الاشتراكي فيختلف في منظوره تماما. لأن الكتاب أداة بناء شخصية المستقبل الاشتراكي، والذي هو بالضرورة الطفل. ولا ينسى أبدا حاجات تطوره. لذا تتبنى الدولة هذا الأدب تبنيا مطلقا.

وتطرقت بايجاز لأدب الأطفال في كوبا، الصين الشعبية، الاتحاد السوفيتي، ألمانيا الديموقراطية. ولم أنس أن أطل من نافذة على العالم الثالث، والمهمة الصعبة التي يقابلها نظرا لتعدد اللغات المحلية.

فغالبية كتب الأطفال في أفريقيا مثلا، والمكتوبة باللغات المحلية، لا تفي بالمطلوب. لذا تعتمد هذه البلدان اعتمادا كبيرا على الترجمة والاقتباس.

وقد عرّجت على اليابان في نهاية المطاف.. لأخرج بنتيجة هامة مفادها: ان أدب الأطفال وجد مكانه تحت الشمس، فقد أصبح ظاهرة عالمية منفردة جعلت زيادة الانتاج خلال ثلاثين عاما تصبح (400 ٪).

وتحدثت في هذا الفصل أيضا عن نشأة القصة الطفلية السورية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في ظل المدارس هادفة الى تهذيب الطفل وتعليمه، وذلك من خلال الأناشيد والمحاورات والقصائد الغنائية والتمثيليات، وقد حمل هذا الأدب الطابع الوطني والقومي، ولا سيما في الفترة التاريخية التي نشأ فيها: (أواسط الثلاثينات، والأربعينات، والخمسينات) والتي تعتبر فترة نهوض قومي، أذكت روح الحماس والارتباط بالأمة.

وما يميز كل ما كتب للطفل في تلك المرحلة، الطابع التعليمي الصرف...

ولم أهمل الاشارة الى أشهر كتّاب تلك الفترة، وألمحت الى ان القصة الطفلية في وطننا العربي بدأت بدايات متعثرة تغلب عليها الترجمة الحرفية، ثم أخذت تتخلى عن ذلك، مكتفية بالتأثر، معتمدة على الواقع القطري خاصة، والعربي عامة، تاركة النوافذ مفتوحة على العوالم الأخرى.

والحق يقال: ان دائرة أدب الأطفال لم تتبلور في مخيلة كتّاب تلك المرحلة. فملامح عالم الطفولة لم تتكوّن في مخيلتهم بالمعنى الحقيقي لهذه العبارة. وظلّت القصة الطفلية في سورية محاولات لا تتسم بطابع الجدية والحيوية الا بعد نكسة حزيران 1967 فصدرت مجلتا: (أسامة 1969، ورافع 1970) للأطفال وحققتا قفزة نوعية في هذا المضمار. حين توجه بعض الشعراء وكتّاب القصة وبعض المترجمين بانتاجهم للأطفال، وقد تحققت هذه القفزة من خلال تنافسهم على ارضاء الطفل والدخول الى عالمه، مما خلق نوعا من الابداع والتجديد فتبلورت

(٤٢٠٢٧١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في أذهان الكتّاب ملامح أدب الأطفال، وأصبحوا يدركون أن له سماته الخاصّة، والتي تزداد حدّة كلما قلّ سن القارئ، كما أدركوا أن عناصر نظريّة هذه الآداب تتلخص في الايقاع والخيال واللغة، وفي المجتمع والواقع والتلقي، ولا يمكن بعثرة هذه العناصر، أو تغريب بعضها، ولا تحييد البعض الآخر.. فالعلاقة قائمة بينها، وهي على وجه التحديد كالعلاقة القائمة بين الانسان وظرفه التاريخي ...

كما أشرت الى المعضلة في أدب الأطفال وهي ثنائيّة الايقاع والمجتمع. فالدائرة التي يدور فيها أدب الأطفال، لابدّ وأن يكون مركزها هذه الثنائيّة التي يجب أن تفهم في اطارها الصحيح، لأن هذه العلاقة توفّر للقصّة العلميّة فرصا واسعة للمحاكاة والمماثلة الاجتماعيّة. أمّا أهم ما ترتكز عليه القصّة الطفليّة فهو الفعل أو الدراما.. ويجب أن تكون الشخصيّة في أدب الأطفال هي التي تصنع مدارها الزمنيّ. فلا غرو ان قلت: ان أدب الأطفال قد اتجه الى البحث عن النجاة، ومحاولة تفسير الواقع من خلال التزاوج بينه وبين الخيال. وهذا يعني ان الخياليّ ليس ما تكون فيه استعارة ورمز أو دلالة لواقع الحال، بل تكون الاستعارة أو الرمز أو الدلالة في صلب المبنى الواقعيّ للعمل الأدبيّ، ويكون الخياليّ هو ما يرى في عناصره أو يشير اليها كالحركات والأصوات والصفات والألوان. كما أن نجاح أدب الأطفال مرتبط بحل اشكاليّة ثنائيّة اللغة والتلقي. ويعني هذا ان الطفل دائما يريد أن يدرك مفاهيم العالم عبر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معالجة شاملة للقضايا الملحّة في حياته من خلال كل مرحلة تاريخيّة، ومن هنا تبرز اللغة بروزا واضح المعالم لأنها السبيل لهذا الادراك... ولا يكون استخدامها وظيفيا فحسب، بل يجب أيضا أن تراعى متطلبات لغة الايصال في الفن أو الوسيط في الجهاز التقاني.

وهي بالتالي مرهونة باعتبارات التلقي لدى جمهور الأطفال، ولا بد أن تتحكّم اللغة بسلامة الانشاء وضمانة الايصال، وأن تكون طريقة الكتابة بسيطة شيّقة.. مشرقة، واللفظة معبّرة وموحية، ناهيك عن وجوب سلامة اللغة. وهذا يضع الأديب أمام نقطتين؛ جوهريتين: دلاليّة اللغة وما فيها من أشكال البلاغة والمجاز، والتي يجب أن يحلّها الأديب بشكل لائق ومقبول عند الطفل، والنقطة الثانية تعبيريّة اللغة وهي ما يضيفه الأديب الى فضاء النص وبنيته اللغويّة من اسقاطات تراثيّة ومعاصرة.

ثمّ نوّهت الى الموضوعات الصالحة لأدب الأطفال والتي تحتاج الى دراسات تربويّة تعنى بمعرفة ميول الأطفال، وتتعرّف على دوافعهم واهتماماتهم وخبراتهم. ولذا نجد قصص الأطفال السوريّة متفاوتة في هذه النقطة. فهناك على سبيل المثال موضوعات عديدة تلائم الكبار، وليس لها علاقة اطلاقا بالأطفال.

— وكان عنوان الباب الثاني: (دخول دنيا الطفولة من بوابة العصر). وضمّ الفصل الأول: دراسات تطبيقية لبعض قصص الأطفال السوريّة، موزّعة على مساحة واسعة من الأنماط السلوكيّة الاجتماعيّة، كالتعاون والحث على العمل والتشبّع بالروح الانسانيّة والوطنيّة بما في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك تعشّق الحريّة والتضحية في سبيلها، أضافة الى القصص الوصفيّة.

ـ والفصل الثاني: آفاق القصّة الطفليّة، وأساليب تطويرها. وفيه تناولت أبرز الأسباب التي لم تمكن الكتّاب السوريين من ولوج عالم الطفولة بعمق. فمعظم الكتّاب السوريين اكتفوا بالدخول من النوافذ، أو الاطلال من الشرفة. وهذا يعود الى اعتبارات عديدة أبرزها: ان معظم الذين كتبوا للأطفال لم يكونوا على دراية وافية بما يدور في نفسيّة الطفل وأجوائه، كما كتب بعضهم ليثبت بطريقة قسرية انه ما زال موجودا، ناهيك عن أولئك الذين لم يفرّقوا بين مرحلتي الطفولة المبكّرة والمتأخّرة، واقتنعوا انهم يكتبون وكفى ...

كما يطالعنا نوع آخر من الكتّاب يجهلون تماما ميول الطفل ونوعيّة القراءة القصصيّة التي يرتاح اليها. لذلك كان لزاما على الكاتب أن يعي ويعلم بأن واقع فن القصّة القصيرة يحظى بأكبر عدد ممكن من القرّاء الأطفال، وان نوعيّة القصص القصيرة التي يرغبونها: الفكاهات، والموضوعات الطريفة، ويلي ذلك المقالات العلمية والرحلات. وأقل الموضوعات استثارة هي المقالات السياسية. وهذا ما دفعني لأن أثبّت العناصر الفنيّة للقصّة والمتمثّلة في: الحدث، الشخصيات، الحبكة، اللغة، الخيال، المغزى أو الهدف الذي يرمي اليه الكاتب. ولا بدّ من أن نؤكّد على ضرورة حمل القصّة عقدة واحدة، لأن الطفل لا يستطيع أن يربط بين أكثر من عقدة.

وأشرت بالاضافة الى ذلك لمراحل الطفولة والتي تبدأ من (3 — 6) سنوات. وهي المرحلة الأولى وفيها يتمركز الطفل حول الذات، ولا يخرج عن نطاقها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا المرحلة الثانية فهي من (6 — 9) ، وهي مرحلة الكون والأخذ بالاتجاه نحو العالم ، ومحاولة كسب المعرفة لأسرار الوجود والحياة . أو بمعنى أوضح ارتباط الطفل بالواقع نتيجة نموّه الادراكي والاجتماعي .

والمرحلة الثالثة من (9 — 12) وهي التي تتمتّع بالقدرة على الخيال والتخيّل ، والتمييز بين الأشياء .. هذا الخيال الذي يجب أن يراعى لكي يصبح ابتكارا يجنح من خلاله الطفل الى رؤية العالم بعين البصيرة ، فيتخلّص تدريجيا من الادراك الحسيّ الى الادراك المجرّد . وهو ما يسمّى في علم النفس بالذكاء الفطري .

أما المرحلة الرابعة فهي من (12 — 15) وتعتبر أرقى مرحلة ، فيها ينتقل الطفل من مرحلة الطفولة الى المراهقة ، وتترسّخ فيها القيم والمثل . وعلى سبيل المثال فان الأطفال في المرحلة الأخيرة يقبلون بشغف على قراءة القصص الخياليّة أكثر من اقبالهم على القصص التاريخيّة أو الرحلات . وهذا ما يجعلنا نلحّ على هذه الظاهرة الصحيّة في مثل هذا السن شريطة أن لا تستمر الى ما لا نهاية ، إذ يجب تخطّيها والتمتع بالقصص الواقعيّة ، والاّ أعيق تقدّم الطفل ، وأخّر نموه . وتلعب الشخصيّة في قصص الأطفال دورا كبيرا في عمليّة تشويق الطفل وربطه بأحداث القصّة .

وقد عانى القرن التاسع عشر ولادة الأدب الحقيقي الموجّه للأطفال ، والذى اعتمد على التركيب الوصفي المتلك لأشرعة توصله الى قوّة الخيال ، وأهم ما يتميّز به استشراف المشهد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وضعه في حيّز مكاني مناسب .

ويلعب الخيال دورا هاما هو الآخر حين يضفي على الكلمات بعدا اضافيّا .. ومن هنا كان السياق السردي يحمل فقر أدوات الحكاية ..

ولا ننسى وجوب ابعاد الخيالات المخيفة المفزعة عن أدب الطفولة حتى لا يحدث نوع من القلق واضطراب المفاهيم عند مزج الخيال والحقيقة في قصص الأطفال ، فهذا يشكل رؤية مبهمة عند الطفل .

أمّا المضامين في قصص الأطفال السوريّة . فقد لعبت هي الأخرى دورا ايجابيا حينا ، سلبيا حينا آخر ، واعتمدت في البدايات على الأسطورة التي نمت في صدر الانسان البدائيّ .. وبعد شرح الأسطورة وأبعادها ، وكيف ظهرت الدراسات النفسيّة والعلميّة والتربويّة وجدت أن الأطفال قادرون على تمثّل شخصية الحيوان أكثر من شخصيّة الانسان .

انتقلت بعدها الى أهميّة استخدام بطاقات صور الحيوان بشكل ملحوظ لأنها تساعد على فهم القصّة أكثر من غيرها ، ومن الضروري أن تكون اللغة مفهومة وسهلة ، كما بات واضحا ان تقديم الكاتب شخصيّة من النموذج المثالي الذي لا يعتريه أي نقص يغاير الواقع ، فمن الضروري اذن التحوّل نحو البطل الثنائي ، أو مجموعة الأبطال على رأي (أليف كاسيل). بعد ذلك طرحت سؤالا : هل من الضروري استخدام شخصية الحيوان في قصص الأطفال ؟ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا نستطيع أن نقول نعم أو لا ، بل يرتبط الايجاب والسلب باستخدام الكاتب للرمز الحيواني . فاذا ما توفّق قلنا نعم ،والاّ فلا .. غير أننا لا نستطيع أن نلغي الحيوان من أدب الأطفال ، ولكننا نرى أنه لا بدّ من الابتعاد عن الاغراق في استخدام معادلة البناء الفنّي المتمثّلة في حوار حيوان مع حيوان .. ومن الممكن الاعتماد على الحيوان بقدر ملحوظ على أن لا تطغى (الصورة الحيوانية) دائما على القصّة ، وأن يشارك عنصر بشري في عمليّة البناء الفنّي ، فيصبح الحوار الدائر بين حيوان وانسان .

والهدف من ذلك ابراز الطبائع البشريّة بجوانبها الايجابيّة والسلبيّة ، ولا يجوز أن نخلط بين الطبيعتين حتى لا تختل المعادلة الفنيّة للقصّة ، وهذا يعني تزاوج الخيال بالواقع..

وقد تحدّثت قصص الأطفال عن البطولة والتضحية والفداء، والتي تمحورت أساسا في القضيّة المركزيّة فلسطين ، وجلّ الكتاب اتخذوا من التهويل والبطولات الخارقة طريقا للوصول الى نفسية الطفل. ومن وجهة نظري ان المبالغة المفرطة ، والتهويل ، والاستهانة بامكانات العدو ، وقدراته ، ما هي الا أمور سلبيّة ترسم آلاف الأسئلة وعلامات التعجّب في ذهن الطفل .فهو اذا أدرك فيما بعد ، أن العدو قد احتل فلسطين منذ عام (1948) ، واحتلّ أجزاء أخرى من الوطن العربي ، وما زال يجثم فوق صدورنا ، فلا بدّ أن يكون مردود مثل هذه القصص سلبيا ، لهذا يتوجّب على كتّاب قصص الأطفال أن ينزلوا به الى حقل الواقع.. الذي بدأ فعلا عندما عالجت نخبة من الأدباء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مع نفسه ومجتمعه ... !! وعليه أن يغوص في أعماق عالم الطفولة ، ليكون على دراية واسعة بما يحب الطفل وما يكره ، بالاضافة الى حتمية امتلاك الكاتب لأدواته الفنية حتى يجيد السباحة في أنهار الطفولة الرقراقة .

فالكتابة في حد ذاتها مسئولية والتزام لأنها تشكل مستقبلية الأجيال ، وترسم ملامح وجه الأمة عبر تاريخها الطويل ... !!

أما اختيار موضوع الكتابة فهو أمر شاق وصعب .. فليس سهلا أن تتمركز الكتابة في موضوع شمولي يعالج الأزمنة (الماضي والحاضر والمستقبل) دون أن يعني الأديب بمعنى هذه الأزمنة ، فالأدب في رأيي خلق جديد ... وكشف واضاءة للجوانب غير المرئية في عالم الانسان كما يزداد عمقا وثراء بالانتهاء الى الحياة ، ولا يتسطح بحجة التبسيط وسهولة التواصل ، فهو ليس مرآة عادية تعكس الظواهر كما هي ، ولا آلة تصوير تستنسخ الواقع بكل جوانبه ... صحيح انه يستمد عنصره من الحياة ، ولكنه يختار منها ما يحمل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قيما فنية ، وطاقات ايحائية قابلة للتفسير ، فقد يختار الأديب حدثا معينا ، أو جانبا من حدث ، قد ينتقي هذا الرمز وليس ذاك أو هذا النوع من العلاقات الانسانية وليس غيره ، وهيأ منه بأن التعامل مع هذه الاختيارات بالذات يشكل اضافة جديدة للحياة .. ان عملية الاختيار تبرز هوية الأديب الفنية وقدرته على رصد الظواهر التي تبدو متباعدة ، وايجاد العلاقات المنطقية بينها .. كما توضح أصالة وعمق لحقائق العصر ، وهي الى جانب ذلك موقف سلبي لا يجوز أن يكون في رواق العرض والطلب ، فالكلمة بعد التكوين الانساني والحضاري ، انها اليقين المستقبلي المشرق للزمن الآتي .. والكيان المتكامل المضيء الذي يبعث الدفء والطمأنينة ، والحركة ، والرحمة ، والاستشراف في النفس البشرية .. فهي ترفض أن تكون قسرية لأنها ولدت حرة كما ولد الانسان حرا ... !! وما دامت الكلمة كذلك

فاختيار مثل هذا الموضوع يجعلنا نسجّل بعض النقاط التي نراها ضروريّة .

ومن أهم النقاط التي يمكن أن ندرجها في هذا الصدد ، أن يعي الأديب الشروط الثقافيّة والاجتماعيّة ، على أن تكون المعرفة العلميّة بالطفولة وبعالمها السيكولوجي خاصّة ، ضرورة لابداع أدب أطفال متكامل مع العمليّة التربويّة .

ولا بدّ أن يتمتّع الأديب بموهبة أدبيّة أصيلة ، كما تظل الصورة الواقعيّة المحسوسة أقرب الى عالم الطفل من الصورة الخياليّة .

ان ما شدّني لاختيار القصّة الطفليّة في سورية ، هو اهتمامي الكبير منذ نعومة أظفاري بعالم الطفولة ، هذا العالم الذى يحدد ملامح وجوهنا في المستقبل ، ويعمّق جذورنا في أرضنا العطشى ، ويكوكب غدنا اذا عرفنا كيف نشكّله ونكوّنه .

ان موضوعي سيقتصر على الأدب الحديث ، والمتعلّق بالقصّة الطفليّة . . . والذى طالعتنا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بدايته في الثلاثينات والأربعينات ..
ثم بدأ مرحلة نوعية جديدة
في السبعينات أي بعد نكسة حزيران
عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين .

هذا الأدب الذي اتسم بالطابع العام
وكانت له صلة قوية بالقصة
الشفهية القديمة (حكايا الجدة) . رغم
اختلاف الموضوعات والظروف المحيطة بالطفل ،
ورغم إختلاف الرأي ١١٠٠ .
فما من ظاهرة جديدة إلا ولها أصولها
القديمة المرتكزة عليها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الأول

نشأة القصة الطفلية
مراحل نموها وتطورها

++++++++++
++++++

الفصل الأول

— القصّة الطفليّة في سوريّة ومقارنتها بمثيلاتها في الوطن العربي والعالم :

من الملفت للنظر أن كتّاب أدب الأطفال قد اتجهوا بكتاباتهم اتجاهات واقعيا نتيجة تأثرهم بالتغيرات التي طرأت على المواضيع ، وبالظروف التي يعيشها وطننا العربي ، فاستهدف كثير منهم تنمية الشعور القومي بالاضافة الى فتح عيني الطفل على آفاق المستقبل ، ومجاراة معطيات العصر الذي يعيشه .

فهم يركّزون مثلا على أن ((الاتحاد قوة)) كما في قصّة زكريا تامر (أقوى رجل) ، هذا بالاضافة الى تمليه الوفاء والايثار ، الخ . والحقيقة أن الكتابة للطفل ليست بالأمر السهل كما اعتقد بعض الكتّاب الذين وقعوا في اشكالات لا حصر لها ، وعلى سبيل المثال فقد اعتبروا " حب الوطن " موضوعا تلقينيا فجاءت قصصهم مباشرة ولا أدري كيف غاب عن أذهانهم أن الوطن بروابيه المخضرّة وحدائقه الغنّاء ، روح وجمال ، واقع وخيال . فلماذا عندما نحدّث طفلنا عن فلسطين — مثلا — نقيّده بالسلاسل كما فعل الصهاينة المجرمون ..؟

لماذا لا نترك لخياله العنان ، ولجناحيه أن يرفرفا في حقول بافا البرتقاليّة ...؟ لماذا نحبس صوته الجميل عن الغناء ...؟ وهنا لا بد لي أن أتساءل : كيف يمكن أن نربي جيلا من خلال قصص تصر على استعمال لغة التلقين والنصح ...؟!

لماذا نعلّم أطفالنا الاتكالية ... ؟ ، لندع الطفل يكتشف الشيء بذاته كي تنمو فيه الثقة بالنفس .. !!

أليس من الضروري أن نرسم له عالمه في هذه القصص ما دام يحسن ذلك ..؟

أوليس من الأجدى أن ننمي فيه حب العمل الجماعي ، ونبعده عن الفرديّة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأنسانيّة؟ أما حان الوقت لكي نعرّفه على أرجاء وطنه العربيّ بأجزائه المختصبة بكل تفاؤل وشموخ وابهاء ...؟؟

ان أبرز ما يميّز القصّة الناجحة احتضانها اهتمام الطفل، وذلك من خلال لغتها ومعانيها وشخصيّات أبطالها، لتشبع رغباته وميوله، وتعمّق في داخله المعاني الانسانية، كما تبعث فيه الحيويّة والعذوبة، وتوسّع مدارك خياله، وتضعه أمام الواقع بكل عفويّة وصدق... فيصبح مرهف الحس، متدفق المشاعر...

ان الطفولة في وطننا طفولة معذّبة معقّدة... فلماذا لا نحلل هذه العقد، ونرسم على الشفاه الابتسامات الورديّة... ليصبح أطفالنا كنظرائهم في العالم المتحضّر..!!؟.

ان كتّاب الأطفال أمام تحدٍ صعب. فتطوير هذا الأدب يشكّل ذلك التحدي، لأن تطويره يسهم اسهاما حقيقيا في العملية التربوية بكل أبعادها ومحتواها الثقافي، والاجتماعي، والسياسي.. اذا أخذنا في اعتبارنا ما يحيط بالطفل العربي من حياة مأساوية — لا بدّ أن تجد انعكاساتها عليه..

فطفلنا العربيّ اذن يفرض علينا أن نعي كافة الظروف المحيطة به، ويتطلّب منا أن نكون في المستوى المطلوب، لما يلقى على كاهلنا تجاهه...

ومن هنا كانت الكتابة للأطفال من أخطر أنواع الكتابة.. فهي تتعلّق مباشرة بخلق أجيال الغد. ولا بدّ لنا والحالة هذه أن نغرس فيه الوعي، والأمل من خلال الكتاب ليدرك تدريجيا الواقع المأساوي الذي يحيطه الوطن والمواطن في هذا الزمن.

ولا يكون ذلك في رأينا الا اذا طوّرنا عالمه الروحي لتتطوّر مقدرته على التخيّل والتصوّر، وتتسع مداركه لاستيعاب الأشياء بطريقة مبسّطة وحيويّة بمقدار ما يخدم نفسيّة الطفل، وتشكيل عالمه الخارجي، وتنمية مواهبه...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد عملت الآداب العالمية على غرس هذه الروح في نفسية الطفل ، واشباعها دون أن تثقلها أو تخلق نوعا من السأم فيها وذلك من خلال محورين رئيسيين ، فرضهما تباين الأنظمة السياسية. المحور الرأسمالي ، والمحور الاشتراكي .

فالمحور الرأسمالي أخذ بعين الاعتبار في معظم الأحيان ، حاجات الطفل المتعلقة بنفسيته وحاسيته وطبيعته. الا أن الأولويات في نشر أدب الأطفال تخضع الى حد كبير للناحية التجارية ، فانتاج كتب ومجلات الأطفال يعتبر مصدرا هاما لدخل الناشرين الذين اكتشفوا أن الأطفال يشكلون مادة جيّدة للنشر. فبالنسبة للدول الأوروبية رغم تباين أنظمتها نجدها في نفس السياق الاجتماعي والاقتصادي والسياسي .. ولذا نجد تجانسا في انتاج أدب الأطفال الى حد كبير ...

وتعتبر انكلترا[1] أعرق الدول الأوروبية في انتاج أدب الأطفال ، فكان (جون نيوبري) أول من أنشأ دار نشر ومكتبة للأطفال وذلك عام ألف وسبعمائة وأربعة وأربعين ميلادية ... ومما لاشك فيه أن مضمون هذا الأدب تطوّر عبر العصور ، وهذا راجع الى أن الاعتراف بالأطفال ، كجمهور له خصائصه ، ومميّزاته ، كان مبكّرا . ومما يزال الانتاج هاما جدا هناك ، حتى يومنا هذا ، ورغم الانخفاض الكبير عام ألف وتسعمائة وخمسة وسبعين ، وألف وتسعمائة وستة وسبعين . فقد بلغت منشورات أدب الأطفال أربعة آلاف عنوانا في السنة. غير أن الانتاج الانكليزي كالأمريكي ، يبقى منغلقا على نفسه ، فترجمات الأعمال الأجنبية ؛ ألمانية ، فرنسية ، اسبانية ... الخ . موجودة لكنها لا تشكل الا نسبة مئوية ضئيلة

1— أدب الأطفال والفتيان في العالم — ص 10 — 21 (دنيز اسكاربيت) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تزيد على (5 ٪). علما بأن ترجمة الأعمال الانكليزيّة تتم بدرجة واسعة في أغلب البلدان الانكلوساكسونيّة ذات الجمهور العريض، والاحتياطي الواسع من المواهب، والتي تحقق اكتفاء ذاتيّا ...

وما يدعّم هذا الأدب، الصحافة. فكبريات الصحف تخصص زاوية لأدب الشباب، كما عمدت دور النشر الكبيرة، منذ السبعينات مثل دار النشر: (بنكوان ، كولينز ، بان بوكس) الى كتاب الجيب لثلاثة مستويات من الأعمار. وسبعات هذه الكتب رائجة جدا نظرا لأسعارها المعقولة... فتصدر بمعدّل أربعين الى خمسين ألف نسخة بخصص معظمها لأدب الفتيان ... وتدعم المدارس هذا الأدب، حيث تصدر نشرات نقديّة عديدة من قبل مجموعات من المدرسين.

أمّا أدب الأطفال في البلدان الشمالية التي تأخذ لغتها حيّزا محدودا جدا: فتستند الى الترجمات والاقتباسات القادمة من ألمانيا الى الدانمارك والسويد، ومن بريطانيا للنروج، ولم تتطوّر السويد مثلا في هذا المضمار الا مؤخرا ... ففي عام ألف وتسعمائة وسبعة وسبعين أصدرت خمسمائة وواحد وخمسين عنوانا مقابل ثلاثمائة وواحد وثمانين في عامّ ثلاثة وسبعين، وأربعة وسبعين، اضافة الى ذلك طلّت البلدان الشمالية آخذة بالتطوّر.. وهي الآن تمتلك مكتبات جيّدة للأطفال.

وبالنسبة لفرنسا فهي تتمتّع الآن بمجموعة من الكتّاب الممتازين والرسّامين، ساعد على ابرازهم بعض الناشرين. أمّا السلطة فقد تقاعست في انشاء المكتبات وتشجيع النشر، شأنها شأن وسائل الاعلام التي كادت أن تتجاهل هذا الأدب تماما.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا عن الأدب الطفلي النوعي فلم تنشر بعض الأعمال في اسبانيا وفرنسا الاّ في السنوات العشر الأخيرة ...

وفي ايطاليا تطلّب الأمر اصلاحا تربويا في العشرينات، ورغم ذلك فأدب الأطفال فقير جدا بالمقارنة مع ألمانيا والبلدان الانكلوساكسونية ....

وتجدر الاشارة هنا الى أن كتاب الطفل في اليابان — مثلا — بعد الحرب الأخيرة قد حقّق قفزة معتبرة، وذلك لأن الدولة قد اعتبرت هذا الكتاب الطريق الى الديموقراطيّة المستقليّة للشعب. وهناك ارتباط وثيق بين برامج التلفزة والكتب المخصصة للصغار، فيمكن أن تعطي مجلات وألبومات لمن هم في سن الثانية، سواء بشكل ألعاب أو للمطالعة.. وهذه الكتب مزيّنة بالرسوم الجذّابة. وفي الآونة الأخيرة جرى التركيز على نشر الألبومات حيث الخط الياباني بأسلوب جديد، الاّ أننا اذا تمعّنا هذه الكتب وجدناها في الغالب تحتوي على شخصيات مرسومة نسخا من الغرب... 11 وهذا يعود الى مجاراة تقليد اليابان للغرب.

واذا انتقلنا الى المحور الاشتراكي نجده يختلف في منظوره تماما لأن الكتاب أداة بناء شخصية " مواطن المستقبل الاشتراكي " والذي هو بالضرورة — الطفل — ولا ينسى أبدا حاجات تطوّره، ولذا تتبنّى الدولة هذا الأدب تبنيا مطلقا.

— ففي كوبا بلغ متوسّط الإصدارات أربعمائة ألف نسخة.. علما بأن عدد السكّان حوالي ثماني ملايين نسمة..

— وفي بولونيا معدّل الإصدار عام ألف وتسعمائة وأربعة وسبعين حوالي خمسة وخمسون ألف كتاب..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ أمّا الصين الشعبية[1]، فهي بمعدّل مائتي ألف نسخة الى ثلاثمائة ألف نسخة، وهي التي استطاعت أن تحلّ مشكلة محو الأميّة، التي كانت أحد أهداف "ماوتسي تونغ". ويمكن أن نعتبر حاليا أن مجمل شبيبة الصين قد تملّكت القراءة والكتابة، ويجري انتاج الكتب، أو بالأحرى الكتيبات بغزارة بنسبة اصدار مدهش، وهي بشكل عام تطبع من ورق الصحف عدا بعض العناوين المنشورة باللغات الأجنبيّة التي تطبع على ورق مصقول، ونجد أن مضمون هذه القصص تقليدي، أو ايديولوجي يصف الطفل في حياته اليوميّة، أو يذكّره باللحظات الحاسمة في الثورة الصينية.

ـ واذا ما انتقلنا الى ألمانيا الديموقراطية[2] نجد أن أرقام العناوين المنشورة عام /1974/ عن دار النشر (داس ـ كيندر فلاغ) في برلين (2500) عنوانا تمثّل (25) مليون نسمة، وتحاول أن تستبدل الأدب المدافع عن القيم البورجوازيّة التقليديّة بأدب ثوري وبروليتاري.

ولا بدّ أن نشير الى أن الأعمال المنشورة في الخارج ليست مستثناة، إذ كانت تسهم في بناء مجتمع اشتراكي شأنها شأن أعمال الألمان المنفيين المدافعين عن أفكار اشتراكية أو انسانيّة.

فالدولة تنتج هذا الأدب وتنشيء المنشآت الضرورية للاستهلاك والتطوّر، وبهذه الطريقة يمتلك كل بلد اشتراكي دور نشر مختصّة، حيث يخضع الانتاج لخطّة معيّنة. وان الشكل الخارجي للأعمال الذي كان لفترة طويلة متواضعا جدا، قد تحوّل فجأة، ما عدا على ما يبدو في رومانيا، ومع ذلك فهناك مسائل نوعيّة في كل بلد، وتتمثّل في الجمهوريات الاتحادية السوفييتية، ففيها مثلا (70) لغة، لهذا فان الكتب تنشر بمختلف اللغات، وتغتني الآداب الوطنيّة من بعضها.

1ـ أدب الأطفال والفتيان في العالم ـ ص (16 ـ 17).
2ـ أدب الأطفال والفتيان في العالم ـ ص (12 ـ 13).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكن أن تصل الاصدارات الى أربعمائة وخمسين ألف نسخة.

وفي تشيكوسلوفاكيا أيضا نلاحظ تطور أدبين متوازيين : الأدب البوهيمي في التشيك ، والأدب السلوفاكي في سلوفاكيا .

أما فيما يتعلّق بايجابيّات وسلبيات كل محور من المحورين ، فهناك تشابك كبير وتشابه في بعض النقاط. فكلا المحورين يطمح في أن يبني انسانا جديدا عن طريق تنمية شخصيات الأطفال جسميا وعقليا ، ولكن على طريقته الخاصة .

فالمحور الرأسمالي يركّز على زرع روح الفردية في معظم كتب الأطفال ، بينما المحور الاشتراكي يهدف الى تنمية الروح الجماعية . وهما يمدّان الطفل ليعيش ايجابيا في المجتمع ، ويختلط بالآخرين دون التخلي عن صفاته. أما تحمّل المسئولية في المجتمع فيختلف المحوران في ذلك ...

فالأول يرى أنه يأتي من خلال الأنا الخاصة ، بينما يرى الثاني أنه لا يمكن أن يتحقق الا بالعمل الصالح للمجموع مع النظر الى الفرد بقيمة ما يعطي ، لا بقيمة ما يأخذ من المجتمع الذي يتواجد فيه العدو والصديق. وبينما يرى المحور الأول أن تهيئة الطفل للتمييز بين الصالح والطالح أمر متروك للطفل نفسه ، يرى الآخر وجوب تهيئة الطفل لمثل هذا التمييز فتتبلور في ذهنه الأفكار عن الحياة الاجتماعية في الماضي والحاضر والمستقبل ، ويجعله يرتبط بأنماط سلوكيّة تقوم على العدل والمساواة وحب الخير للانسانيّة...

وينفرد المحور الثاني عن الأول بتقوية روح التضامن والتعاون بين الأطفال ، فالعمل التعاوني منح امكانيّات واسعة لتقدّم الانسانيّة عبر العصور ، ويلح كلا المحورين على تنمية اعتزاز الأطفال

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالوطن للاسهام بمسؤولياتهم في النمو ، وتربيتهم تربية وطنية ، غير أن المحور الثاني يضيف الى ذلك وجوب تعريفهم بالقيم الانسانية النبيلة " تمهيدا لتنمية السلوك الاشتراكي في نفوس الأطفال ، وبناء شخصيتهم بناء يمكنهم من العمل المبدع ....

أما بالنسبة للأديب ، فالمحور الأول يعتبر الأديب حرا فيما يقول ويكتب ، بينما الثاني يلح على توجيه الأديب للمواضيع التي تخدم الهدف العام ...

فالأول أكثر حريّة في التعبير ، والثاني أقدر على العطاء الجماعي المثمر .. والأديب في المجتمع الرأسمالي لا ضمانة لحياته المعيشية إلاّ من خلال سعيه الفردي المتواصل لتأمين قوته ، بينما في المجتمع الاشتراكي يكون مستقبله المادي مضمونا من قبل الدولة متفرغا للكتابة فحسب ، ولهذه نقطة هامة فمعظم كتّاب المجتمع الرأسمالي تسيطر عليهم النزعة التجارية ، لتأمين مستقبلهم .

أما العالم الثالث فاننا نلاحظ تعدد اللغات المحلية في معظم البلدان وعلى الخصوص الافريقية وهذا يجعلنا نذهب الى أن غالبية كتب الأطفال المكتوبة باللغة المحلية لا تفي بالمطلوب .... ومنا اخطر هذه البلدان أن تعتمد اعتمادا كبيرا على الترجمة والاقتباس ... والاستعانة برؤوس الأموال الأوربية في مثل هذه الكتب ... ولا نريد أن نسترسل في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا المضمار... نظرا لأننا سنتناول في بحثنا الأساسي القصّة الطفليّة في سوريّة... والتي هي منطقة من مناطق العالم الثالث. ..!!

لقد رأينا في هذه العجالة، ان أدب الطفولة وجد مكانه تحت الشمس حيث أصبح ظاهرة عالمية متفرّدة. جعلت زيادة الانتاج خلال ثلاثين عاما تصبح : (400٪) ، وبمعنى أوضح ، ورغم كافة العراقيل والعوائق، فقد أصبح كل مكان في هذا العالم على اختلاف اتجاهاته السياسية، وأنظمته يدرك أن الطفل هو العامل الأساسي المميّز في السياسة والثقافة، لأنه صانع المستقبل ونورد فيما يلي نموذجا احصائيا لاصدارات بعض الدول المهتمة بأدب الأطفال : ..

البلد	الاصدارات أو عدد المؤلفات	عدد النسخ	العام
انكلترا	4000	(40 — 50) ألف	1975 .
السويد	381	. . .	1974—1973
	551	. . .	1978 —1977 .
فرنسا	اصدارات شعبية	(40) ألف	منذ السبعينات.
كوبا	. . .	(40) ألف	منذ السبعينات .
بولونيا	. . .	(55) ألف	1974 .
ألمانيا الديموقراطية	2500	مليون — 250 ألف	1974 .
كوريا	1343		1978 .
الصين	...	(200 — 300) ألف	منذ السبعينات .
الاتحاد السوفيتي ..		(450) ألف	منذ السبعينات .

— أدب الأطفال والفتيان في العالم. ترجمة نادر ذكرى . منشورات دار الحوار بيروت . ص : 9 — 10 — 11 — 12 — 13 — 17 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما أدب الأطفال في وطننا العربي ، وعلى الخصوص في بداياته ، فقد نقلت له بعض الترجمات بتصرف عن الانكليزية والفرنسية والألمانية وغيرها — وذلك من بيئة مغايرة تماما لبيئتنا ومبتعدة بعيد كل البعد عن مجتمعنا ....

أن ما نطالب به من واقعية أدب الأطفال لا يعني بالضرورة أن تعكس الأشياء بظواهرها ، وانما نعني مزج الخيال بالواقع لتخرج صورة مشرقة ، تجعله يتفاعل والواقع .... ومتماثلا في مواقف تستوجب التساؤل ، وبذلك نكون قد خطونا خطوات واسعة على طريق التحليل المتبسّط ، والتصور المعقول ولهذا نقرر حقيقة مفادها أن القصة الطفلية لا يمكن أن تكون وسيلة تربوية ناجحة إلا إذا استطاعت أن تخلق لدى الطفل عالما جديدا من المتعة بأسلوب شيق واضح ، ولغة بسيطة فصيحة ..... فهل وصلت القصة الطفلية في سورية الى هذا المستوى ؟ ! ، هذا ما سنحاول الاجابة عنه من خلال تتبعنا لمسيرة هذا الأدب .

نشأ أدب الأطفال عموما في سورية ، في ظل المدارس ، هادفا تهذيب الطفل وتعليمه ، وذلك من خلال الأناشيد ، والمحاورات والقصائد الغنائية والتمثيليات ...

وقد حمل هذا الأدب الطابع الوطني والقومي ولا سيما أن الفترة التاريخية التي نشأ فيها — الثلاثينات والأربعينات والخمسينات ، هي فترة نهوض قومي ، تعتمد اعتمادا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كبيرا على اذكاء روح الحماسة والارتباط بالأمة ..
ولعل أول من عمل في هذا الميدان عبد الكريم الخيدري ونصرة سعيد في حلب ، والمدكتور جميل سلطان وأخوة أنور سلطان وعبد الرحمن السفرجلاني في دمشق حين أصدروا مشتركين ديوان (الاستظهار المصوّر) في أدب البنين والبنات ، طبعته المكتبة الهاشمية بدمشق وذلك عام ١٩٣٧ وقد ضم هذا الديوان عددا من القصائد عن الفلاح والقلم - والدجاجة - القبّرة والديك ، والنحل ، والبهرة النظيفة ، والأرنب ، والمنديل الصغير والكتاب - وكسرة القدم . غلب على هذا الديوان الأسلوب التعليمي والوعظ والارشاد ، كما قلّت فيه الحكاية والأقصوصة ... وهذا يعني أن عنصر التشويق كان يُقذف على الأرض .

وفي الأربعينات برز من هؤلاء الأستاذ ؛ نصرة سعيد الذي طلع علينا بثلاثة كتب ، هي :
(مصرع الماضي وخيم) ، (لتحيا الأمة) ، و (السارق و المسروق) . وهذه القصص أقرب الى المواضيع الانشائية منها الى أدب الأطفال ، اضافة الى أنها خاطبت الأطفال بلغة الكبار لأن دائرة أدب الأطفال لم تتطور ولم تكتمل في مخيلة كتّاب تلك المرحلة. فلم تتوضّح لديهم ملامح عالم الطفولة بالمعنى الحقيقي ، مما أوقعهم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في متاهات ومجاهيل كانوا في غنى عنها
ولو عرفوا سيكولوجية الطفل ، لعرفوا كيف
يخاطبونه بلغته ، ومشاعره ويسلونه ، ويوجهونه
بطريقة فاعلة .

بقي أدب الأطفال وخاصة القصة الطفلية
في سوريا محاولات لاتتسم بالجدية ، ولا تلج
عالمه الداخلي لتؤثر تأثيرا حقيقيا ، الا
بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧ عندما صدرت
مجلتيا (أسامة) ١٩٦٩ و (رافع) ١٩٧٠ للأطفال
محققة قفزة نوعية في هذا المضمار . حيث
توجه بعض الشعراء وكتّاب القصة وبعض المترجمين بانتاجهم
الى الأطفال ....

وقد تحققت هذه القفزة الى حد كبير
من خلال تنافسهم على جذب الطفل والدخول
الى عالمه ..... مما خلق نوعا من
الابداع . اذ تبلورت في أذهان الكتّاب ملامح
أدب الأطفال ، وأصبحوا يدركون أن لهذا سماته الخاصة
لاسيما في سنه المبكرة ، كما أدركوا أن عناصر
هذا الأدب تتلخص في الايقاع والخيال ، واللغة ،
وفي المجتمع والواقع والتلقي . ولا يمكن بعثرة
هذه العناصر أو تغريب بعضها . فالعلاقة
قائمة بينها ، وهي على وجه التحديد كالعلاقة
القائمة بين الانسان وظرفه التاريخي ..!

أما ما يمكن أن يشكل مهمة الابداع في أدب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأطفال ، فهي ثنائية الايقاع والمجتمع ، فالدائرة التي يدور فيها أدب الأطفال ، لابد أن يكون مركزها هذه الثنائية التي يجب أن تفهم في اطارها الصحيح .

فليس الايقاع موسيقى أو كلمات وانما هو : الارتقاء بالموسيقى أو الكلمات الى درجة علاقة تحيط بمجتمع الطفولة الخاص ...

وهذا يترتب عليه انتظام رؤية الأديب أو المربي في ملامسة التجربة الانسانية اذا لم نقبل التعمق فيها . وهذا يعني بالطبع احاطة الأديب بملائق مجتمع الطفولة واثراء خصوبة النظر الى الأشياء . ومن الجدير بالذكر أن دوائر المجتمع الطفلي المتعاملة مع الايقاع تتجسد في : المكان والزمان ، الأسرة ، الموضوع ، الفعل ، الشخصية ، ومما لاشك فيه أن العناية بالعلاقات الأسريّة داخل العمل الأدبي أمر هام وضروري جدا ... ولا يسعنا في هذا المجال إلا أن نقول : ان كل أديب لايتقيد بهذه العلاقات الحميمة ضلّ طريقه لأن هذه العلاقات توفر للقصة الطفلية فرصا واسعة للمحاكاة والمماثلة الاجتماعيّة ، والاقتداء ...

وأهم ما ترتكز عليه القصّة الطفليّة " الفعل " ، ويجب أن تكون الشخصيّة في أدب الأطفال هي التي تصنع مدارها الزمني ، فليس من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المناسب أن يجاهر الكاتب بفكرته عن الحياة ، أو أن يؤطّر الزمن كما يراه ، فمملكة الطفولة أرضها رحبة ، وفضاؤها واسع ...

وما دمنا في الأرض الرحبة والفضاء الواسع ، فلا بدّ أن نشير الى أن ثنائية (الخيالي ، والواقعي) لها مجالاتها الأكثر تعقيدا . فاذا كانت المأثورات والأساطير والحكايات تشكّل أوسع المصادر لأدب الأطفال فان الأنسنة " التحدّث على ألسنة الحيوان " ، والخوارق ، والطبيعة ، والابتكار والابداع ، هي المجسّدة للنزوع " التعبيري عن مملكة الطفولة .

ولقد سبق أن أشرنا الى وجوب التزاوج بين الخيال والواقعية ... فهما متداخلان باستمرار ، على نحو مؤثر في سياق النص التربوي . وعلى ما يبدو ان ثنائية الخيال والواقعية هي القاسم المشترك في أدب / الأطفال / قديمه وحديثه ، فقد ذكرت د . ناديا خوست :

((ان أدب[1] الأطفال الجديد سرعان ما أخذ الطابع العام نفسه الذي كان لأدب الأطفال بعامة ...

لقد انتقل من البساطة الى التعقيد ، فلم يعد صورة للأحلام وحدها بل أضاف اليها تعبيره عن تمزّق الاحلام ، وارتفاع الخطر والتناقضات في الواقع)) .

1- مجلة الموقف الأدبي ((العدد 95)) مارس (آذار) 1979 ص 20-21

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه في أن أدب الأطفال قد اتجه الى البحث عن النجاة ، ومحاولة تفسير الواقع من خلال المزج بين الواقع والخيال . ولقد استفاد هذا الأدب من منجزات التطور العلمي والفني والنفسي والحضاري لذلك لا يكون الأدب الخيالي فيه استعارة أو رمزا او دلالة لواقع الحال ، بل تكون الاستعارة أو الرمز او الدلالة في صلب المبنى الواقعي للعمل الأدبي . ويكون الخيالي والخيالة هنده ، هو ما يرى في عناصره أو ما يشير اليها كالحركات والأصوات والصفات والألوان . والتحولات والوقائع والاحداث والعلاقات بين هذه العناصر تشكل أبعادا تكشف عن تركيب العمل الأدبي .

فالخيال يتكون عن طريق الاستعارة أو الرمز او الدلالة (1)
((فنجاح أدب الأطفال مرتبط ايضا بحل اشكالية ثنائية اللغة والتلقي)) .... وهذا يعني أن الطفل دائما يريد أن يدرك مفاهيم العالم عبر معالجة شاملة للقضايا الملحة في حياته خلال كل مرحلة تاريخية . ومن هنا تبرز اللغة بروزا واضح المعالم باعتبارها السبيل لهذا الادراك .... فهي تراعي متطلبات لغة الايحاء في الفن أو الوسيط في البناء الثقافي أو ذاك .. وهي بالتالي مرهونة باعتبارات التلقي لدى جمهور الأطفال ....

1- أدب الطفل ممثلة الترجمة وصحبة الفن - عبد الله أبو هيف (ملحق المعرفة) ص ١١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما يجعلنا نؤكد على ضرورة الارتقاء عن مجرد مخاطبة الأطفال الى انتاج أو اعادة انتاج أدب جديد . ولا بد أن تتحكم اللغة بسلامة الانشاء ووضوح الايصال .....، فيجب أن تكون طريقة الكتابة بسيطة .... شيقة ومشرقة وأن تكون اللغظة معبرة ، وموحية . ناهيك عن وجوب سلامة اللغة . وهذا يضع الأديب أمام نقطتين جوهريتين : مدلول اللغة وما فيه من أشكال البلاغة والمجاز . والتي يجب أن يحللها الأديب بشكل لائق ومقبول عند الطفل . والنقطة الثانية . اللغة المعبرة وهي ما يضفيه الأديب على فضاء النص وبنيته اللغوية من (احمالات) تراثية ومعاصرة ، اسطورية أو شعبية أو علمية . ولا يخفى أن همزة الوصل : الكتاب أو الاذاعة المرئية أو المسموعة ، السينما ، والمسرح أو الصحافة ، ولكل دوره الفاعل في مجتمع الأطفال .

ولعل أكثرها فاعلية الاذاعة المرئية ..... وعلى الخصوص في المراحل الطفلية الأولى ....!!

ومن الواضح أن قصّاصي الأطفال السوريين يلتزمون بالمفهوم المحدد للواقعية ((بحيث يعتبر واقعيا كل ما يدور في العالم الخارجي للطفل ويتقبله على أنه شيء ممكن الحدوث أو حادث فعلا . ويضفي الطفل على هذا الواقع أشياء أخرى من خياله ، ولكن هذه الاضافات لا تخرج من اطار ما هو موجود في واقع الطفل ، وهو صحيح إلا أنهم يغفلون ارتباطه بالخيال)) . والقصة ضمن هذا المفهوم للواقعية قصة غير فاعلة اذ

1ـ مشكلات قصص الأطفال في سورية . سمر روحي الفيصل ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص 43 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ينبغي أن تضم مثيرات كافية لاطلاق عنان خيال الطفل (كنشاط ذهني فردي) .

ان الالتفات الى الواقعيّة دون ربطها بالخيال أو الى الخيال دون ربطه بالواقعيّة يجعل الأديب في معظم الأحيان لا يستطيع توفير الأمرين (الخيال والواقع) معا في القصّة الواحدة .

كما لا يستطيع أن يقيم توازنا حقيقيا بينهما بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر .

صحيح أن مبدأ ضعف ارتباط الطفل بالواقع ملاحظة ، مهمّة خاصة عند الذين لم يتجاوزوا التاسعة من عمرهم ، إلاّ أن ذلك لا يعني أنّه مبدأ وحيد . فهناك التمركز حول الذات ، والموضوعات الخاصّة بالذكور ، دون الاناث ، بالعكس ، اضافة الى الاندماج بالبيئة المحيطة ، والتفاعل معها ، والنمو النفسي ، وهذه النقاط لم يجر التأكيد عليها في موضوعات القصص التي تتحكّم فيها قضية القيم والمعارف ، وعلى وجه الخصوص الهدف القيميّ ، العامل الأول ، في اختيار الموضوع ....

وقد دلّت دراسات ميدانيّة كثيرة على أن تطور الطفل الاجتماعي يستمر طويلا ليحقق ذاته ، فهو يحاول دائما أن يرفض الآراء ونصائح والديه واخوته ، كما يمارس الشغب داخل البيت وخارجه ، مما يفسّر حياة الطفل الاجتماعيّة المتناقضة ، ولكننا نراه يكاد يكون مفقودا في قصص الأطفال السوريّة ، فنمو الطفل نموا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نفسيا مناسبا يلعب دورا هاما فني تشكيل عالمه الخاص ، واثبات شخصيته ، وهذا يتطلب توفير بيئة غنية بالمؤثرات الثقافية القادرة على جذب الطفل وفسح المجال لطاقاته الذهنية الملأى بالخبرات الانفعالية والاجتماعية لتوجيه نشاطه وجهة تعتنق وجوده ، مما يدعو للاعتقاد ((بأن قصص الأطفال لا بد أن تراعي حاجة الطفل الى الأمن والحب والاطمئنان ، واثبات الذات فتعالج من خلال القصة بصورة غير مباشرة .

ومن هنا نستطيع تقرير حقيقة هامة تقول : ان المعوضوعات الصالحة لأدب الأطفال تحتاج الى دراسات تربوية تعنى بمعرفة ميول الأطفال ، وتتعرف على دوافعهم واهتماماتهم وخبراتهم . ولهذا نجد قصص الاطفال السورية متفاوتة في هذه النقطة ، حيث يجد المرء موضوعات عديدة تلائم الكبار ، وليس لها علاقة اطلاقا بالأطفال . كتلك القصص التي تتحدث مباشرة عن حاجة الطفل للحب ، وحنان الأم والتفاؤل ، واستبعاد الحزن .

ان مثل هذه القصص لا تقدم أية فائدة للطفل لأنها خارج دائرة اهتمامه وادراكه ، بل إضافة الى انها مطروحة عليه بشكل مباشر . وهذا يدفعنا من جديد في دوائر متجددة من الأسئلة : لعدم حصول المعايير التي يجب أن تستند إليها القصة الطفلية ، اذا ما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أردنا الحكم على ملاءمة الموضوع للطفل ، أو عدم ملاءمته له....

فهل تكون هذه ((المعايير[1] ذاتيّة ، تنبع من خبرة القاص أو ناقد قصص الأطفال؟ أم هي معايير علميّة تدرس مراحل النمو عند الطفل ؟)) وبذلك تطرح ما يناسب كل مرحلة من أفكار وموضوعات. في الواقع أن معاييرنا ما زالت ذاتيّة بعيدة عن الدراسة العلميّة . وأفضل دليل على ذلك تلك النقدات الصحفيّة التي تتحدّث عن أدب الأطفال ، اذ توضّح خطر تضليل قنّاصي الأطفال في الموضوعات التي يطرحونها.

((ان غالبيّة موضوعات قصص الأطفال في سوريّة[2] تعتمد على مبدأ ضعف ارتباط الطفل بالواقع ، ولهذا تتكلّم الحيوانات وتتحاور فيما بينها ، وتخاطب الانسان وتتبادل معه الحديث ، كما أن الطبيعة الصامتة تنفعل الشيء نفسه ، وتتمتّع بأحاسيس الانسان العادي من حب وكره وحزن وغضب)) .

1ـ مشكلات قصص الأطفال في سورية ـ سمر روحي الفيصل ص 41 ـ 42 .

2ـ مشكلات قصص الأطفال في سورية ـ سمر روحي الفيصل ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ص 42 ـ 43 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وباستطاعة المرء أن يثبت ما ذهبنا اليه بمجرّد قراءته لمجموعة: ((السماء تمطر خرافا)) للكاتبة دلال حاتم، و ((العصافير تبحث عن وطن)) للكاتب ياسين رفاعيّة. وهذا يفسّر بوضوح طغيان القصّة القصيرة جدا على المجموعات التي تنشرها المؤسسات الرسميّة. وذلك لكونها تطرق غرضها مباشرة معتمدة على ضعف ارتباط الطفل بالواقع.

(1)
((فموضوعات القصّة القصيرة جدا، تتضمّن حدثا واحدا في الغالب، وتحرص على أن يكون بسيطا يقود الى دلالة محدّدة، كما تحرص على التركيز والاقتصاد في استخدام الألفاظ. وفي الغالب تطرق القصّة القصيرة جدا غرضها مباشرة، وتعتمد على ضعف ارتباط الطفل بالواقع، وتجمع بين السرد والحوار)).

(2)
و((نقصد بالقصّة القصيرة جدا تلك التي لا يتجاوز عدد كلماتها أربعمائة في الغالب الأعم)) ...

ونحن ضد هذا النوع من القصص لأنه يغفل المقدرة الذاتيّة لقطاع واسع من الأطفال، كما يكون تأطيرا تعسّفيا للقصّة نفسها.

(3)
((وقصر القصّة لا يسمح بتوضيح ملامح أية شخصيّة

1— مشكلات قصص الأطفال في سوريّة — سمر روحي الفيصل، ص 37.
2— نفس المرجع — ص 33.
3— المرجع نفسه — ص 52.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالتالي ينزوي دورها ويضمحل أثرها في الطفل)) .

فهي لا تتضمن تشويقا كافيا يشدّ الطفل ويضمنها في دائرة وجوب تدوير هذا المسار بحيث يضمّ قصصا تناسب مراحل نمو الطفل وتتابع هذا النمو من منظور سيكولوجي . والا فسيتعاظم الاقبال والاعتماد على دور النشر الخاصة والقصص المترجمة الأخرى التي تسدّ هذه الثغرة في قصص الأطفال السورية ، اذا ما أضفنا الى ذلك أيضا وجوب المناسبة بموضوعات القصص تبعا لمراحل النمو وتخطّي الافتقار الى ما يرشد الطفل أو الأب لملاءمة القصة لهذه السن أو تلك ..... وهذه في الواقع مهمة تقع على عاتق القصاصين أنفسهم . وعلى عاتق المؤسسة الناشرة التي لابدّ أن تضع على الغلاف بصدق وبدقة العمر الزمني الذي تناسبه القصة .....

وما نطمح اليه هو توفير دراسات خاصة بالطفولة في مختلف نواحيها ، تكون مرجعا رئيسيا للقصاصين ، ولعلنا نميل الى اعتماد القصة القصيرة للأطفال في معظم الأحيان . ونقصد بالقصة القصيرة تلك التي يتراوح عدد كلماتها بين ١٠٠٠ - ٢٠٠٠ كلمة ويستغرق في قراءتها ثماني دقائق وما فوق ..... وهي تستخدم عادة ((مجموعة أحداث ترتّبها ترتيبا معينا كي تنتهي منها الى مغزى محدد ، يضاف الى ذلك لبنوحها الى العرض والعقدة والخاتمة ،

---

١ - مشكلات قصص الاطفال في سورية - سمر روحي الفيصل - منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق ص ٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجمعها بين السرد والحوار مع ما هو ملاحظ من طغيان الأول على الثاني لسدّ الثغرات في السرد القصصي ، ومن حرص على وصف الجزئيات والشخصيات وإتمام واضح عن الرمز .)) وهذا لا ينفي أن تتضمن القصة القصيرة حدثا واحدا يكون بديلا ليقود بالتالي الى دلالة محدودة ... ،

ولا ننسى أن القصة القصيرة أو القصيرة جدا تحتاج الى موهبة قادرة على كتابة تلك القصة . وشكلة الكتابة في هذين النوعين هي مشكلة الكتابة للكبار أيضا ، فهي عسيرة التأليف في الحقيقة ، سهلة في ظاهر الأمر تماما كالأسلوب السهل الممتنع ومن الضروري البحث المستمر عن الطاقات القادرة على الكتابة للطفل ، واتاحة فرص التدريب العميق والمنظم لمن لديهم الاستعداد المناسب ولعل مضامين القصص هي التي تلعب الدور الفاعل في نفسية الطفل . ...

واذا سألتينا نظرة فاحصة على مضمون القصة الطفلية في سورية نجدها تنحصر في تقليد تصرفات الحيوان أو شكله أو طباعه وعلاقته مع الانسان والحيوانات الأخرى . والعناية في تحديد سمات البطل تكاد تكون مفقودة فهذه القصة مثلا تجعل / العصفور بطلا / وتلك تجعل الدب ، وهكذا دواليك ، دون أن تحدد ملامح

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خاصة تميّزها عن الأبطال ضمن النوع نفسه كأن نقول : ان البطل هو الديك الأحمر ، وهذا يعني رسم ملامح مميّزة للبطل ،تساعد الطفل على تمييزه بين فصيلته ، وتساهم في معرفته للحيوانات، وذلك من خلال توافق الصفة المعطاة للحيوان شكلا ، وما أعطي له من مضمون سواء كان خيرا أم شرا لترسّخه في ذاكرة الطفل فيصبح قادرا على الفرز فيما بعد .

ومن أهم المواضيع الأخرى التي تناولتها قصص الأطفال في سوريّة : الموضوعات الاجتماعيّة وما يتعلّق بها من قيم ومعارف، كالتعاون ، والايثار ، والفقر ، والعمل ، والأمومة... وما الى ذلك . وقد التفت الى هذا النوع غالبية قصّاصي الأطفال في سوريّة ، وتشكّل الموضوعات الوطنيّة والقوميّة الدرجة الثالثة من اهتمامات القصّاصين السوريين ، وعلى رأسهم عادل أبو شنب ، وياسين رفاعيّة ...

أمّا الموضوعات الخيالية والعلميّة ، فيكاد ينفرد بها " طالب عمران " يشاركه أحيانا " أحمد عزيز " ..

كما يبرز نزار نجّار في الموضوعات المستمدّة من التاريخ العربي ، ولا يفوتنا أن ننوّه بتلك الموضوعات المستمدّة من العقيدة الاسلاميّة ، والتركيز على المعارك والفتوحات ، اضافة الى سيرة الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) ، والصحابة والتابعين ، وهذا الحديث

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بدوره يدخلنا الى ((البنية اللغوية)) (1) والتي تحتاج الى تحديد قوائم بالمفردات الأساسية والأنماط اللغوية المستخدمة من قبل الطفل في كل مرحلة من مراحل عمره وذلك لتكون البنية اللغوية للقصة صالحة للقراءة .

وهذا يستدعي نشر دراسات لغوية عن المفردات الأساسية للطفل قبل دخوله المدرسة الابتدائية ، كما يستدعي معرفة المفردات والأنماط المستخدمة في كل صف من صفوف المرحلة الابتدائية ، ولقد توفر هذا الأمر للصفين الأول والثاني حيث سجلت وزارة التربية السورية في ص (١٣٤) من الجزء الأول لكتاب القراءة ، وكذلك الصفحة نفسها من الجزء الثاني للصف الأول الابتدائي قائمة بالأسماء والصفات والأفعال والظروف والحروف المستخدمة في هذا الصف ، كما سجلت في دليل معلم هذا الصف (ص ١١) الأنماط اللغوية الأساسية التي يراد تعليمها للطفل ، وقامت الوزارة بالعمل نفسه في الصف الثاني ....

وليس غريبا اذن ، أن نقول (أن القضية اللغوية تحتاج الى دراسات كثيرة ودقيقة ولا تفيدنا كثيرا تلك الملاحظات العابرة والآراء الشخصية والمقاييس

١- مشكلات قصص الاطفال في سورية
سمر روحي الفيصل ص ٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العامة لأنها لاتعتمد على أسس ثابتة في القضية اللغوية وخاصة المفردات الأساسية ولا بد أن تتبدل في هذه الألفاظ كأن تكرر اللفظة الجديدة في السياق القصصي لعدد من النصوص على أن يضمن هذا التكرار توضيح مفهوم اللفظة ، وتثبيتها في ذهن الطفل شكلا ومعنى ونطقا ، ولعب تحديد عدد الكلمات ومقدار تكرارها دورا هاما في هذا الصدد ، تبعا لما تقدمه الينا الدراسات اللغوية .

أما ما يتعلق بالصعوبة في النطق ، فنرى ان تكون هناك دراسات محددة توضح الطريقة التي يجب اتباعها ، وهذا يعني : أن يكون الأديب ملما بـ(علم اللهجات) : الذي يبحث في الظواهر الناتجة عن تفرع لغة من اللغات الى لهجات تختلف باختلاف المواطن جغرافيا ، أو باختلاف الجماعات الناطقة بتلك اللغة ، واطلاعه أيضا على (علم الصوتيات) الباحث في الأصوات التي تتألف منها اللغة وخواص الحروف ومخارجها والاعضاء التي تنطق بها ، والطريقة التي يتلقاها بها عضو السمع ، وظواهر تطور النطق بتلك الحروف باختلاف العصور ، وغير ذلك من الأمور والقوانين . ومكتبتنا العربية مليئة بالكتب التي تبحث في الحروف وخواصها ومخارجها وما اشتملت عليه كتب اللغة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والنحو من مباحث في هذا الميدان اضافة الى (علم الدلالة) الباحث في شعب مختلفة أهمها : معاني الكلمات عند أصل الوضع ، وتطور بعض المعاني على مدى العصور ، والحقيقة والمجاز ، وغير ذلك من الأبحاث المعجمية ، كاشتقاق الكلمات وتصريفها وتغيير بنيتها لتغيير معانيها ، وغير ذلك من الأبحاث المنضوية تحت اسم (علم البنية) أو (المورفولوجيا) . فاهيك عن بيان العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية ، وأثر المجتمع وتقاليده في مختلف الظواهر اللغوية ، والذي سمي في هذا العصر بـ (علم الاجتماع اللغوي) وتوضيح العلاقة بين الظواهر اللغوية والأخرى النفسية كالتأمل والتذكر ، والنزوع ، والايحاء ، والتأثير وغير ذلك من القضايا التي يعالجها علم النفس تحت أسم (علم النفس اللغوي) .

وذلك ليكون الأديب قادرا على تجنيب الطفل هذه الصعوبة ولجعل التركيب أيسر على مدارك الطفل من اللفظة المفردة أو المجردة ....

ونستطيع الادراك : بأن قصص الأطفال السوريّة تحتاج الى تدقيق القصّاصين في البناء اللغوي للجملة ، وعدم الاكثار من التراكيب المجازيّة التي أصبحت ظاهرة بارزة ، ولا بدّ أن نفرّق بين نوعين من التراكيب المجازيّة : نوع غير

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مألوف لدى الطفل ، من الواجب الابتعاد عنه نهائيا في قصص الأطفال ، مثل : (الطريق تبتلعه السيارة) ، (الانسان يحارب الزمن) فهذا تركيب غامض ، ونوع مألوف كقولنا : انكسرت رجل الكرسي . يابنور عيني - وصل الى رأس الشارع ... الخ . ويمكن استخدام تراكيب أخرى قريبة من تلك التي يستخدمها الطفل ، كالتشبيه التمثيلي ، مثلا (الجهل ظلام) ...

كما يتوجب على القصاصين السوريين الابتعاد عن الجمل الطويلة ، فالطفل ذو نفس قصير ، وغير قادر على حبس أنفاسه ، وهذا يجعله أمام الجملة الطويلة - يضطر لقطع حبل معرفة المرتبط والألفاظ وبالتالي قطع المعنى الكلي ، مما يؤدي الى انعدام الربط بين أجزاء القصة وابتعاده عن قراءة النص ، فاستخدام الجمل القصيرة يفضي الى الغاية المرجوة .. ولا يجوز أن نستعمل التقديم والتأخير بكثرة ضمن اطار القصة ، لأن الطفل لا يعي ذلك فمحصوله اللغوي مازال ضعيفا ، وإذا ماقلنا مثلا ((أين الكتاب)) نجده يفهم ذلك بوضوح رغم تقديم الخبر على المبتدأ ، بينما نجده حائرا مرتبكا عندما نقول له : ((أين في كلامك وكلام أصدقائك وجيرانك الصدق)) ؟ .

1- مشكلات قصص الأطفال في سورية - سمر روحي الفيصل ، ص118

2- نفس المصدر ونفس الصفحة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تلك بعض الملامح والسمات التي تتسم بها القصة الطفلية في سورية .

فأين هي من القصة الطفلية في الوطن العربي والعالم . ؟؟ من خلال ما أوردناه عن تلك القصة في الوطن العربي ، نلاحظ أنها قد جاءت متأخرة ، اذ بدأت عندنا بشكل ملحوظ في أواخر الأربعينات وبداية الخمسينات على وجه التحديد ، وكما تقول الكاتبة (ليلى صايا سالم) : ((عمر(١) الكتابة للطفل قصير في سورية وفي الوطن العربي عامة اذا ما قورن بعمره في البلاد الأخرى ، ولكن ما كتب للطفل يعتبر غزيرا ، اذا ما قيس بالفترة الزمنية القصيرة ، بدءا من الستينات حتى الآن)) .

وهذا يعني أن ليلى صايا سالم ترتكز على الفترة الزمنية المشرقة من عمر الكتابة للطفل متعمدة الابتعاد عن المراحل الأولى التي كتب فيها للأطفال ...!!

وقد تحدثنا منذ البداية عن مصادر أدب الطفولة في البلاد العربية ، وأوجزناه بأنه قد

١- ادب الاطفال بين الرقي والخيال - مجلة الموقف الادبي
العددان ١٥٩ - ١٦٠ عام ١٩٨٤ ص ١١٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اعتمد على الترجمة والاقتباس أو عن التراث المكتوب أو المنطوق ، أو الابتكار الشخصي . وهذه المصادر اعتمدها أدب الأطفال في سورية شأنه شأن أدب الأطفال في وطننا العربي . ولا بد أن نشير هنا الى التفاوت في الكتابات للطفل بين قطر وقطر . وقد نوه الى هذا الموضوع سمر روحي الفيصل في نقده لبحوث أدب الأطفال المقدمه لمؤتمر الأدباء الرابع عشر حيث يقول :

((ان تطور أدب (الأطفال في الوطن العربي تطور غير متكافئ ، ففي حين كانت الترجمة أساسا لهذا الأدب في مصر ، فانها لم تكن كذلك في سورية والعراق ، وفي مقابل تأخر ظهور أدب الأطفال في دول الخليج ، تطور هذا الأدب بسرعة في لبنان وسورية والعراق ومصر وتونس.))

ومن هنا نستطيع القول بأن أدب الأطفال في سورية قد تطوّر بخطى سريعة متمثلا من الاقتباس والترجمة معتمدا على التراث والابتكار الشخصي . وقد كانت القصة الطفلية في سورية ظاهرة صحية اذا ماقيست بمثيلاتها في الوطن العربي . واذا ما قارنا هذا الأدب في سورية بأدب الطفل

١- مجلة الموقف الادبي العددان ١٥٩ - ١٦٠ عام ١٩٨٤ ص ١٦٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في العالم نجده مازال يحبو ، وهذا راجع الى عوامل متعددة أبرزها :

ان الكتابة للأطفال في سورية لم تحقق قفزتها النوعية الا في السبعينات بينما نجد هذا الأدب قد قطع أشواطا بعيدة في العالم قبل ذلك بكثير - إذ بدأ بدايته المعقولة بعد عصر النهضة بقليل - واذا نظرنا ما صدر للطفل نجده عددا هزيلا (((فثمة بلدان (1) متقدمة تقرأ بنهم وتطبع بسرعة ، وبلدان أخرى تفتقر فيها الأمية ، وتعد فيها القراءة ترفا أو أنها لم تتهيكن من طبع الكتب)) كما يقول الدكتور عبد الرزاق جعفر. والحقيقة ان ما ورد على لسان الدكتور عبد الرزاق جعفر ، يضمنا أمام واقع صعب يتمثل في تفشي الأمية من جهة ، وصعوبة الطباعة من جهة ثانية ، اذا ما أضفنا الى ذلك ، قلة الامكانيات المادية لدى كثير من الكتاب ، وعدم الاعتناء الكافي بهذا الأدب الطفلي الذي هو سلاح ذو حدين ، لابد من التدقيق فيه ، والعناية به ، كما يلفت انتباهنا الى التفاوت الكبير بين طبقات المجتمع الواحد من

1- الأطفال والكتابة (مجلة المعلم العربي سورية العدد الاول ١٩٨٥ ص ٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيث استهلاك الكتاب تبعا للوضع الاقتصادي أو الاجتماعي .

ولو ألقينا نظرة فاحصة على ما أوردناه من احصائيات للكتب المطبوعة للأطفال في العالم المتقدم من حيث (الكم والكيف) ، لعرفنا الى أي مدى وصلنا في هذا المضمار .

والجدول التالي يبين سير حركة نشر كتب الأطفال في سورية من قبل أكبر مؤسستين ثقافيتين هما : وزارة الثقافة والارشاد القومي واتحاد الكتاب العرب في سورية .

- حركة نشر أدب الأطفال في وزارة الثقافة والارشاد القومي . (1)
- حركة نشر أدب الأطفال في اتحاد الكتاب العرب في سورية .

السنة	العدد	السنة	العدد
1960	1	1970	•
1971	1	1971	•
1972	1	1972	•
1973	1	1973	•
1974	10	1974	•
1975	4	1975	1
1976	5	1976	4
1977	4	1977	7
1978	10	1978	4
1979	17	1979	8
1980	20	1980	9

1- جريدة الثورة : العدد 7086 تاريخ 1986/5/21 ص 8 دمشق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(تتمة الجدول السابق) :

السنة	العدد	السنة	العدد
1981	24	1981	5
1982	9	1982	6
1983	8	1983	6
1984	14	1984	1
1985	•	1985	2

— ملاحظة : عدد النسخ التي تطبع من الكتاب الواحد تتراوح بين الألف والخمسة آلاف نسخة .

ولا يخفى على متتبع أدب الأطفال في سورية ، أنه بالقياس الى ما كتب في وطننا العربي ، أو الدول النامية ، حقق تقدّما ملحوظا رغم قصر عمره . وقلّما نجده الآن يعتمد على الترجمة أو الاقتباس ، واذا ما اعتمد عليهما حاول تقريبهما من الواقع الذي يعيشه الطفل .

وقد اعتمد كثير من كتّاب القصّة الطفليّة على التراث ، لأن التراث مادة غزيرة لتأليف قصص الأطفال ، وكثيرون أولئك الذين قاموا بعملية الانتقاء ، وقد نشر الكثير من هذا التراث ، الا أن التقيّد بالمحتوى الأصلي هو الغالب ، وهذا في رأينا يمكن أن يشكّل خطورة اذ يربط الطفل بماضيه وحسب ارتباطا وثيقا فينفصل عن حاضره . . .

وهنا يجب على كتّاب القصّة الطفليّة أن يخرجوا التراث من الخصوص الى العموم كما فعل شكسبير في شخصياته التاريخيّة (الملك لير ، مكبث ، عطيل . . . الخ) ، فقد استطاع أن يفلت من الزمان والمكان ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد اعتمد كتّاب القصّة الطفليّة في سوريّة على الابتكار الشخصي ، فمنهم من وفّق ومنهم من أخفق ، وسنرى ذلك واضحا من خلال دراستنا التطبيقيّة لقصص الأطفال في سوريّة.

ومهما يكن من أمر ، فالقصّة الطفليّة في سوريّة ، قد حاولت أن تعطي وجها متميّزا ، وملامح يمكن أن تكون أكثر وضوحا وعمقا في المستقبل ، اذا ما ازداد الاعتناء بهذا الأدب، وكثر الالحاح عليه، وظهرت مجموعة من النقّاد المتميّزين الذين يقوّمون النتاج الأدبي بعيدين عن الأنا الخاصّة والذاتيّة المفرطة ، التي من الطبيعي أن تعوق تطوّر هذا الأدب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محدثة دويا كالرعد)) ..

وربما قصد الكاتب أن يمسّك إحساسنا بمرآتها السحريّة هذه ... إلا أن هذا الغموض في المعنى الذي ذهبنا اليه ، ليس بمقدور الطفل أن يدركه وهكذا لو أن الكاتب صوّر لنا موقف الملكة موقفا رافضا لكل ما هو خرافي .

بعد هذه النقلة ، واكتشافها لوهميّة اعتقادها ، وذلك بتهشيم المرآة تحطيما للخرافات ... التي كانت تتغلغل في داخلها ، وتستلب ارادتها فتسيء معاملة الآخرين ...

كما أن لنا مأخذا ثريبويا على القصة وذلك من خلال الحوار بين حسان والسمكة ، اذ قالت :

((سأنتظر (لي) الشبكة حتى يعود أبوك ... وعندما يرجع أقوم بحركات قوية عنيفة فتتظاهر أنت بأنك غير قادر على امساك الحبل ، وأنك عاجز عن الاحتفاظ به في يديك فتتركه)) .

وهذا يعني تصويد الطفل على الكذب والخداع ، هذا من حيث المضمون ، .. فماذا عن الشكل ؟ ؟ .

هناك بعض الكلمات الناشزة كـ(الأنهُر) مثلا . كما وردت بعض الكلمات الثقيلة على سمع الطفل ونطقه ككلمة (مغتاظة) . ولا يفوتنا أن ننوّه الى أن بعض

١- المرآة السحرية ص٤٧ -

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التراكيب والجمل قد جاءت ضعيفة .... مثال ذلك قول الكاتب حرفيا : ((فقد (١) تغيرت هيئته ، لشيابه الأنيقة)) .

.. هل يعني هذا أن القصة جاءت خالية من الايجابيات ؟؟ طبعا ... لا ... اذ تيوفر عنصر التشويق للطفل من خلال البطل (حسان) .. ومن البديهي أن يتوفر الخيال لأن القصة خيالية بطبيعتها .

أما ما يتعلق بجمل المفردات المستعملة ، فقد كانت غنية ، وسهلة الفهم ، ما عدا بعض الألفاظ المتعربة خلسة في جنبح الظلام ... ١١

((الأتجير - من غشيته - طافق)) بالاضافة الى خطأ لغوي طفيف (تذكير كلمة أي) قبل المؤنث (أيّ سنة) . والصحيح - أية سنة .

وأجمل ما في القصة انها تنمي النزعة الانسانية في نفسية الطفل ، كما تشذغ شعوره وتحثه على الرفق بالحيوان ١٦٠٠٠٠

ولننتقل مع الكاتب عادل غنيمان الى قصته الثانية (البلبل)(٢) ..

يدور فحواها حول محورين : الأول ملك مستبد يقرض

١- المرآة السحرية ص ٤٧

٢- المكتبة الخضراء للاطفال ٠ البلبل : المنشورة عام ١٩٧٦ دار المعارف - القاهرة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالقوّة وجنوب التقيّد بما يأمر به مهما كانت النتائج ، والثاني بلبل يتميز بصوته الرائع الجميل ، اختصته الحاشية بناء على أوامر ذلك الملك المستبد ، وأهدته له ، فرفضه في نفس من ذهب ١١٠٠٠٠٠

وجزئيات القصة تتحدث عن هروب البلبل الذي لا ينام الملك الا على صوته الشجي ، مما اضطر الحاشية لوضع بلبل صناعي يشبه صوته الى حد ما ، صوت البلبل الهارب ... كما تتحدث أيضا عن مرض الملك مرضا مبرحا يصعب شفاؤه ... وينقلنا الكاتب بعد ذلك الى إكتشاف الملك هروب البلبل وبكائه المر عليه ، وتأبى عادل غنيمان في نهاية المطاف ، الا أن يشفي الملك المؤسف منه ..

وقارىء هذه القصة يرى انها تظهر ظلم الملوك وقسوتهم حتى على أقرب المقربين ، حيث يقول الملك في موقع من القصة (اذا لم يحضر البلبل ، فسوف أدوس بقدمي بعد العشاء كل رجل من رجال حاشيتي) ١١٠٠ ورغم هذه النقطة المشرقة في القصة فهي في موضع آخر تعلّم الطفل الخضوع والخنوع للطغاة .. فلنسمعه يقول على لسان البلبل الذي يشكل المحور الثاني في القصة ...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

((ان صوتي أجمل ما يكون في العقول والغابات غير انني أقبل الدعوة خضوعا لمشيئة الملك)) . وكذلك (1)
((... أجاب البلبل : على الرأس والعين ... ان رغبات الملك أوامر نلبيها طائعين ... مسرورين)) . (2)

كما يجعل الملك يبكي متأثرا بموقف عاطفي اذ يقول الكاتب ((قال البلبل فقد رأيت الدمع ينهمر من عيني الملك)) عندما كان مريضا . (3)

وهذا شيء معقول لو ان الهدف من ذلك اخضاع جبروت الملك تحت وطأة آلام المرض المبرحة ، ولكن يدرك الطفل ذلك ، بل ربما تبادر الى ذهنه ان الملك شعر بأوزاره التي لا تعد ولا تحصى ، وبقسوته على رعيته ، فتراجع في لحظة ضعف .. وهذا في رأينا لا يفيد شيئا لأن من شب على شيء شاب عليه ...

---

1 — البلبل — ص 19
2 — البلبل (قصة واحدة) . — ص 18
3 — نفس القصة — ص 22

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن كتاب القصص الطفلية في بلدي ... عادل أبو شنب فقد أصدرت له وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق عام ١٩٧٦ (حكايات وحوارات الأطفال) ... وأول هذه الحكايات : (حكاية من السودان)[1].

بطل القصة رجل يتقن لعبة الابر .... استأذن مرارا للمثول أمام يدي الملك الا أنه فشل ، مما جعله يقضي برغبته في أن يعرض لعبته عليه وعلى حاشيته فيسرهم جميعا . وافق الملك ... فأدى لعبته بإتقان حيث أدخل كل ابرة في ثقب سابقتها وهي في الهواء ، فبرهن بذلك على براعته في التصويب ... وانتصب عمود من الابر أمام الجميع .. وفعلا استطاع أن يدخل السرور الى القلوب فكافأه الملك بثلاثمائة دينار من الذهب ، وكاد الرجل أن يطير فرحا ... وبينما كان يهم بالخروج ((ناداه الملك قائلا)) يجب أن تحمل على الكافأة الأخرى ، فاستل عن فرحته وسروره عندما سمع بذلك وما مضى الا لحظات حتى بدأ الرجل يرتجف خوفا . لأن الهدية الثانية كانت ثلاثمائة جلدة . ولتوضيح ذلك ، قال الملك : مكافأتك بالدنانير مقابل

١- مجموعة معطيف الاخفاء ص ٩

براعتك ، والجلد لأنك أضعت وتتك في عمل لا فائدة منه للآخرين ...!!

هذه القصة خالية من عنصر التشويق ولا مجال فيها يسمح لخيال الطفل أن يسرح في أرجائها ، كما لا يوجد واحة يستريح فيها طفلنا ولو قليلا .. وهي خالية أيضا من المفردات الجديدة والتي جاءت جميعها بسيطة معروفة ... وتصلح هذه القصة لسن السابعة اذ تعلم الطفل عدم اضاعة الوقت في عمل لا فائدة منه ... قال الملك ((ثم أمرت[1] بجلدك عقابا لك على الوقت الذي أضعته سدى ، وأنت تتتن لعبة لا تجود بفائدة على أحد)).

أما القصة الثانية من نفس المجموعة فهي تحمل عنوان : محطف[2] الاخفاء (حكاية من اليابان) .

يتلخص مضمون هذه القصة في محطف سحري عجيب يملكه جني ، سمع خبره هيكو يشي من صديقه (ياما كانو ياما) فقرر أن يمتلكه بأية وسيلة. حاول صديقه أن يثنيه عن عزمه فلم يفلح ، وبعد حوار بينهما انتزع (ياما كانو ياما) بمرافقته الى مكان المحطف . ولما وصلا منعهما الجني في البداية ، فلجأ هيكو يشي للحيلة التي كان عمادها

1— مجموعة محطف الاخفاء — ص 11 .

2— مجموعة محطف الاخفاء ص ١٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تلك القصة التي يحلمها ، فراح ينظر من أحد طرفيها قائلا على مسمع الجني : أنني أستطيع أن أرى العالم بواسطة قصبتي السحرية .. دهش الجني ... وأبدى رغبة شديدة في الحصول عليها ولكنه رفض ، وبعد أخذ ورد ، تمكن هيكوبشي بأن يقايض قصبته بالمعطف ، وأن يفر هو وصديقه في اللحظة المناسبة .

وبعد وصوله الى بيته أشعر زوجته بأنه يستطيع أن يحضر في الحال كل ما تتشوق اليه من طعام وشراب ولباس ... وبالفعل نفذ ما أرادت مشترطا عليها أن لا تكثر من الأسئلة ، وطلب منها اذا سألها الجيران عن النعيم المستعيد أن تجيبهم بأنه ورثه عن جده ، وفشلت الزوجة في انتزاع الحقيقة من فم صديقه ، وأصبحت تتشمس زوجها وتتمسك في تصرفاته وأفعاله معتقدة ذلك لصديقه (ياما كانو ياما) من خلال سياق الحوار التالي :

الزوجة : بدأت أخاف (1) من هيكوبشي .

ياما كانو ياما : لا تخافي

— أتعلم شيئا عن ؟؟.

— كلا أنا لا أعلم شيئا .

— انك تعرف سره يا (ياما كانو ياما) .

1- معطف الاخفاء — ص 123

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ انني لا أعرف شيئا قط.

ـ سأكتشف كل شيء بنفسي اذا .. انني أعرف كيف أتصرّف .

ـ ذنبك على جنبك اذا اكتشفت سره .

ـ انّه صاحب سر اذا ؟

ـ أرجوك أنني لم أقل شيئا .. انني لم أزركم أيضا .الخ ...)) .

وتشاء الظروف أن يزور صديقه تاركا معطفه. ولمّا رأته رشا بالماء أحرقته على أمل أن يشكرها زوجها على صنيعها . وعندما عاد الى البيت جنّ جنونه ... (وبقدرة قادر) يهتدي الى رماد المعطف ،فيدهن به جسمه ويبدو كالشبح لا يظهر منه شيئا .

وفي القرية نزل الماء على وجهه فكشف نصفه ، بعد أن شربه فصاح الخادم : ((لقد خرجت الأشباح من جديد ..)) ، ثم تابع صياحه قائلا : ((انني أعرف هذا الفم والذقن)) ، ولن أخاف منك أنت هيكو يشي ، وقبض عليه ، ثمّ قدّمه لأهل القرية ليلقى جزاءه العادل بعد أن روّعهم أياما وأيّاما . وسرق كلّ شيء منهم .

ولمّا قال له صديقه: لقد حذّرناك ولم تصغ لنا ، وسرت في الطريق الذي يودي بك الى التهلكة ....

1ـ مجموعة معطف الاخفاء ـ ص 130 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال : لقد فاته ان الانسان لا يمكن أن يحقق رغباته وسعادته الا اذا عمل عملا مفيدا ...

أما زوجته فقالت : كان يجدر به لو اشتغل ، لا نستطيع أن نفعل له شيئا سوى ((أن نحمل له الطعام البائس الى السجن ..)) (1)

لقد اعتمد الكاتب الأسطورة في قصته - المعطف - وباعت أحداثها حيث محورها الانسان ... الا أنه ضحى بالمفاهيم التربوية في سبيل الحبكة القصصية والاثارة رغم محاولة الاستعاضة عن ذلك بلغة الحوار الطويل . بين هيكويشي وزوجته التعلق بتدبير كذبة عن مصدر ثروته . كما أن عنصر التشويق جاء فاترا رغم حرص الكاتب على خلق الصراع بين شخصيات قصته ، وهذا يكمن في نقل الكاتب البطل من الانتصار والقدرة على فعل شيء بواسطة المعطف الى موقف معين ضعيف يطلب النجدة من زوجه وأصدقائه ، رغم معرفته بعدم جدوى ذلك .

ولقد جاء الخيال سلبيا يعلم الطفل احتراف الحيل والغش والسرقة . الزوجة : ((واذا شك أحد في أمرنا ... كيف نبرر له ذلك)) . (2)

هيكويشي : ((تولى ان هيكويشي قد ورث ثروة طائلة

1— معطف الاخفياء — ص 132 .

2 — نفس المرجع — ص 121 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الـزوجـة : ورثتهـا مـمـن ؟ .

الزوج : ورثتهـا عـن جـدي

الزوجـة : لكـن جـدك مـات منذ زمن بعيـد

هيكوبشي : قولـي اذا أن لهيكوبشي أكثر من جد واحد !)) .

ولا أظـن بهـان عقوبـة هـذا الغش والخداع يلفـت نظـر الطفـل ويردعـه عـن التمسك بمثل هـذه الحيـل .

ولـنا مـأخـذان آخران علـى القصـة ..

الأول : ازدواجيـة صديق البطـل فـي السلوك ، فهـو صـادق في دور من أدوار القصـة ، وكاذب فـي دور آخر مـع زوجـة البطـل وهـذا ينفـي مايـريـده الكاتـب مـن تعويـد الطفـل علـى كتـم سـر صـديقـه .

أمـا الثانـي : فيتعلـق بالمطـلف بعـد الحرق .. اذ كيـف استطاع البطـل أن يكتشـف قـدرة رمـاد المطـلف علـى السحر ..؟؟ ((ماذا أرى ؟)) (1) للـرماد نفس الأثـر رمـاد المطلف قـادر علـى الاخفـاء أيضـا ؟.... الرماد لايـؤثـر الا علـى الجسـم)) ولدينـا ملاحظـة حـول شـكل اللـوحـة .. فقد كانـت الرسـوم معبـرة عـن مشـاهـد الحـوار القصصي الا ان ألـوان الغـلاف بـاهتـة وجـامـدة .. علـما بـأن قـدرة المطلـف ، تفـرض أن تكون الألـوان صـارخـة كـمـي

1ـ مطلـف الاخفـاء ـ ص 129 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تشعر الطفل بقدرته على .

قصة أخرى للكاتب عادل أبو شنب عنوانها : (ميمون هاويا)[1] . وخلاصتها : تعليم ميمون هواية جمع الطوابع .. وهي هواية مفيدة من حيث فائدتها الاطلاعية ، وتنمية المعرفة . فمن خلالها يستطيع الطفل أن يتعرف على بلدان كثيرة ويتوضح عن أماكنها بطريقة أو بأخرى . ويجمع بعض المعلومات عنها ولقد تعامل الكاتب في أسلوبه مع الطريقة الحوارية ، فجاء الحوار قصيرا وسهلا ... وكانت فائدتها تعليمية من حيث المبدأ ... الا أننا من خلال قراءتنا الدقيقة لهذه القصة ، وجدنا أنها تسلم الطفل الأنانية ، والتطلع دوما الى (أشياء) الخاصة ، واستعمال شتى الوسائل في سبيل ذلك . فلنستمع الى عادل أبو شنب يقول على لسان ميمون : ((دخلت مكتب البريد المركزي ، أمس لأرسل رسالة الى خالتي المقيمة في أفريقيا لكي أستطيع الحصول على طابع افريقي))[2] . أليس الأفضل أن يقول مثلا (أحب أن أبعث رسالة الى خالتي في افريقيا لأعبر لها عن شوقي ولأطمئن عن صحتها ، وهي مناسبة أيضا ، لأضيف طابعا افريقيا الى المجموعة التي تنتظر مجيئه بشوق ولهفة ، ويا فرحتي عند تسلمي هذا الطابع

1- مجلة سامر السورية للأطفال رقم ١٦٤
الخميس ١٨/١١/١٩٨٢

2 - المرجع نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو يحمل معه حكايا خالتي وأخبارها ....؟؟ (1)

وفي موضع آخر يقول : ((عندما شاهد ممدون الطوابع الملصقة على أكوام الرسائل في البريد ، وسال لعابي ، الطوابع مغرية ، ولكن كيف آخذها دون أن يشعر أحد ....؟؟)) .

ألا تعلم هذه العبارة الطفل السرقة في وضح النهار ؟ رغم اعتقادنا أن الكاتب يهدف من وراء ذلك ترغيب الأطفال بهذه الهواية - الا انه ضلّ الطريق ... واننا لفي غنى عن تعليم الطفل هذه الهواية اذا كانت السرقة أو الايحاء بها هي الواسطة في تنميتها ؟ .

ولنهنئ مع نفس الكاتب في أسطورة من اليونان عنوانها : (ديدالوس) (2) :

يدور موضوعها حول (ديدال) البارع في النحت ، أما (بروكسس) فهو ابن أخته الذى تلقى علم النحت على يديه .

ولقد تفوق بروكس التلميذ على أستاذه في هذا العلم مما جعل الأستاذ يحقد على تلميذه . تماما كما فعل ابراهيم الموصلي بزرياب . وقد عبّر ديدال عن ذلك بتدبير مؤامرة دنيئة ، اذ اصطحب معه ابن أخيه الى شاطىء البحر ، وألقاه جوفه . ومنذ ذلك

1- مجلة سامر للأطفال رقم 164 .

2 - مجموعة معطف الاخفاء - ص 13 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحبس وشبح الخوف والقلق يلاحقه في كل مكان مما جعله يفر من وجه الناس وينزوي بعيدا مع ابنه الصغير (ايكاروس) الى ملك كريت الذى لقي حظوة كبيرة عنده ... وهذه الحظوة لم تدم طويلا ... فبعد هنا أمر الملك بسجنه مع ابنه في زنزانة مظلمة ... ومن خلال الطيور المحلقة على الزنزانة استطاع أن يقنع الحارس جمع ريش هذه الطيور ، فصنع منها أجنحة له ولابنه ... وطارا هاربين من ذلك السجن المقيت ... الا أن الابن سقط من الجو ميتا ...

هدف الكاتب من القصة تعليم الطفل الابتعاد عن ارتكاب الجرائم أن عواقبها وخيمة . كما هدف أيضا ابعاده عن الغدر والحسد ... وهذا شيء جيد ، ولكن كان من الواجب أن ينال الأب جزاءه شخصيا وليس الابن ((وكأن الآلهة كانت تتربص بـ (ديدال) حتى تنتقم منه على ما فعل ... الخ فقد انصهر شمع جناحي (ايكاروس) وهوى من قمة السماء)) .

أما الخيال فهو متقيد شاحب رغم الأجنحة والطيران ١٢١٠٠ كما استخدم المفردات البسيطة ((ادخ لاتملو - بابسا انطلق .. الخ))

وهناك ملاحظة لابد من الاشارة اليها . اذ أساء الكاتب الى رسالة المعلم من حيث لا يشعر ...

١- مجموعة مخلف الاخفاء - عادل أبو شنب - ص 16 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكأنه تناسى ان السجن كان مظلما . وكذلك النهي الكريم ...

بعد عادل أبو شنب نسير الى مجموعة ((أحزان الغزال الأشهب)) للكاتب أيوب منصور ومنها قصة ((ماذا قالت النملة)) [2] :

هذه القصة مجموعة من الأقوال على لسان الذبابة والصرصور والبعوضة ،فالذبابة تعتقد أن ليس في العالم من يستطيع مجاراتها في ((الطنين)) ، واكتشاف الأماكن القذرة ..!!

أما الصرصور فهو على يقين من أن جميع الطيور قد تعلمت منه الغناء ..

ويأتي دور البعوضة لتعلن على الملأ أنها أفضل الجميع .. فهي بما برعها العادة تدغدغ وجوه الناس فتدخل السرور الى قلوبهم .. !! تاهيك عن استسلام الجميع لها ، فيضطرون لرفع ناموسياتهم البيضاء .. فوتهم خوفا منها .. !!

وتهمت النملة في هذه القصة ، مكتفية بأن تنتقل من زهرة الى زهرة ، حاملة على كتفها (جرة) مملوءة بالعسل الشهي .. !

وهكذا تنتهي القصة .. والتي نرى أنّ لختمها بسيطة

1- مجموعة قصصيّة من منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق عام ١٩٧٩ بمناسبة العام الدولي للطفل .

٢- نفس المجموعة — ص 5 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مألوفة جدا غير أن سرد الكاتب للأقوال ليس كافيا ، إذ لم يبيّن الأذى والضرر اللذين تلحقهما كل من الذبابة والبعوضة بالآخرين . وقد وقع الكاتب هنا في خطأ فادح ..لأن بعض الأطفال سيعدون ما قالته البعوضة حول تسلطها للآخرين ١٠٠ وقالت البعوضة : ((أنا أفضلكم جميعا ، أدغدغ وجوه الناس بأبرى الحادة ، فأدخل السرور والبهجة الى قلوبهم)) .

(٢)
((أما النحلة فلم تقل شيئا ، بل اكتفت بأن انتقلت من زهرة الى أخرى وهي تحمل على كتفها جرة مملوءة بالعسل الشهي)) .

و كما نرى فقد اكتفى الكاتب بالتجريد بالنسبة للنحلة . ويقيننا أن الطفل لن يستوعب هذا التجريد .. وما لا يدع مجالا للشك .. ان الكاتب كان يرمي من وراء ذلك ابعاد الأسلوب المباشر ، نفشل ١١٠٠

أما قصة (الديك)(٣) فتتألف من حوار يدور بين ثلاثة ديوك اجتمعت على مزبلة)) وتنازعت على فتها هجم الديكان على الثالث ... وتناثر

١- مجموعة الغزال الأشهب ص 7 .

٢- المجموعة نفسها ص 7 .

٣- مجموعة الغزال الأشهب ص 9 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الريش في كل اتجاه .. واستمرت المعركة الى أن عم الظلام ... فانتصر الذئب منتشيا بخبث ، وطلب من الديكة الكف عن العراك قائلا : ان القاضي جاء ليحكم بينكم بالعدل ..

وفي استجوابه للديك الأول عن سبب العراك ، قال : لقد حاول هذا اللعين منعي من الوقوف على قمة المزبلة لأصيح على كيفي ١١٠٠

أما الثاني فكانت اجابته : ان الحق لي في الوقوف لأنني أكبر سنا منهما .

وقال الثالث : الحق لي لأن مخالبي أطول ١١٠٠

فقاطعه الديك الأول صائحا : ان عرفي أضخم بكثير ، وصوتي أقوى .. فابتسم الذئب قائلا : ان القمة لمن يحرف سمّ تتكون ١٢٠٠ وأعطى كل واحد جوابا ... فاعترض الذئب بحزم قائلا : لقد فشلتم جميعا في اعطاء الجواب الصحيح ،لأن المزبلة تتألف من عظام الديوك التي تختلف فيما بينها وتتصارع على القمة ١١٠٠

والقصة كما نرى تحاكي رمزية كليلة ودمنة ، لابن المقفع ، وسلبياتها كثيرة أبرزها ..

ان الديكة لا تهتدي خارج أقنانيها بعد الغروب .....

أما تعريف المزبلة الذي جرى على لسان الذئب فيرسخ في ذهن الطفل معنى خاطئا للمزبلة ... نناهيك

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن حكم القاضي الضبابي الذي لم يعط النتيجة المتوقعة ، وهذا الحكم الايحائي المتضمن لمعنى بيت الشاعر العربي

ـ شأبي الرماح اذا اجتمعن تكسّرا

وإذا افترقن تكسرت آحادا .

يحيد عن مدارك العاقل ... اذ من المسلم به ان يتجاوز فهم المحسوس لا المجرد ١٠٠؟١ ((اعترض الذئب (١) بحزم وهو يقول : لم يفلح أحد منكم باعطاء الجواب الصحيح .. ان المسألة أيها السادة الديوك ، تتألف من عظام الديوك التي تتصارع للوصول الى قمتها (١))) .

وننتقل في ثنايا المجموعة الأنفة الذكر فنتطالعنا قصة عنوانها)) فتاة أسمها الحرية (٢) ملخصها : ان ثلاثة أشخاص تعرضوا لظلم الملك الطاغية وهم : النجار الذي طلب منه الملك أن ((يصنع له تابوتا يتسع لجميع سكان المدينة)) كما طلبت ابنة الملك من الخياط (الخيّاط) أن يصنع لها ثوبا نادر الوجود ، وبعد أن أنجزه في بضعة (٣)

١ـ مجموعة احزان الغزال الاشهب ص ١٣

٢ـ مجموعة احزان الغزال الاشهب ص ١٥

٣ـ مجموعة احزان الغزال الاشهب ص ١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعمامه رفضته وأمرت بهتشر أصابعه ...

أما شالشهم وهو (الساحر) ، فقد طلب منه الملك أن يسحر كلابه العديدة وأن يعطيها الى فهود حقيقية ، مما اضطره للذهاب الى الغابة بصحبة أصدقائه واحضار عدد من الفهود ، هجمت على الكلاب فمزقت أجسادها ، مما أثار حفيظة الملك عليه .. فأصدر أمرا بقلع رأس الساحر الذي تمكن من الهرب والنجاة بنفسه واجتمع الهاربون الثلاثة في منارة بعيدة خوفا من أن ينالهم عقاب الملك .

واذا أمعنا النظر في هذه القصة نجد أنها تصلح لسن نهاية المرحلة الابتدائية ... فاللغة غنية بالمفردات الجديدة والتعابير المفيدة ، والقصة بعيدة عن الواقع ... غارقة في المبالغة ، والخيال كما يتصف أبطالها بروح الانتقامية ، وهذا مايثير هربهم من الجور والظلم ...

أليس هذا مأخذا كبيرا على الكاتب ؟ اذ كان لزاما عليه أن يضع أبطال القصة في موقف أكثر صرامة من فتاة أسمها السرية ... !! كما يجب أن يقاوموا ما تعرضوا اليه من قبل الملك الجائر ، بدلا من الاستسلام والهروب لكي يجعل حبكة القصة الدرامية معتمدة على حب المغامرة والتحدي ونزعة الرفض ومقاومة أشكال القهر الاجتماعي ..؟!

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أعطى الكاتب مثلا ـ القوة الخارقة للساحر .. وهي بث الروح في الجماد (قطعة الخشب) ، ((حتى تمكن في النهاية من أن يبعث الحياة في التمثال)) وهذا لا يكون الا لله جلت وعلت قدرته ..!!

ألا يؤدي هذا المنحى في نفس الطفل الى تقديره للساحر واعتقاده به وبقدرته الخارقة المزعومة ..!! وأجود ما في القصة تلك التعبيرات الهادفة التي وردت لتحث الطفل على التخلق والتمسك بها مثل ((مدينة السلام)) . ((شجرة الحق ، الحرية)) .

وأذا أمعنا النظر في كتابة أيوب منصور نجد أن هذا الكاتب يتأسور بهمه .... وهذا راجع الى محاولته استيعاب عالم الطفل تدريجيا ... ولاتهمنا ما ذهبنا اليه فاننا ندرج هنا قصته نجمة الصبح : (2)

تدور هذه القصة حول يوم الأرض ... اذ أخبرت نجمة صديقتها رباب بأن الفلسطينيين في هذا اليوم سيتظاهرون .... وذلك من خلال حوار أجراه الكاتب بين الصديقتين ... والذي كان ثمرة

1ـ مجموعة أحزان الغزال الأشهب . ص 21 .
2ـ مجموعة نجمة الصبح ـ ص 5 ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق، عام 1976 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرار أسرة المدرسة المقاومة للاحتلال على أن تأخذ كل واحدة دورها في هذه المواجهة ... ويجسد الكاتب المظاهرة بتجمع بشري غاضب ثائر على الظلم والعدوان .. وقد حرص أيوب منصور على أن تطلق بطلة قصته نجمة صوتها مرددا ((بناسيونال (١) الهوى ، بناسيونالنا ... ضرب الخناجر ولا حكم النذل بنا)) معبرة بذلك عما يتأرجح في الصدور من ثورة عارمة ضد المحتل ومجسدة حب الوطن المنتظر بفارغ الصبر عودة أبنائه .... وأبى الكاتب إلا أن تصرع بطلة القصة نجمة برصاص الغدر ... فتسقط كشهب من السماء ... وتستمر المظاهرة في سيرها حتى وصلت بيت نجمة ، حيث تقدمت تلك الجليلة السمراء الشاحبة الى والد نجمة فتقول له : عمي نجمة غابت عنا ((وطلعت (٢) في بيت فلسطين)) ومنذ ذلك اليوم وأم نجمة تجيل نظرها في السماء الصافية وهي تبتغي من أعماقها والدموع تترقرق في عينيها : هادي نجمة ... نجمتنا كهرت يا أهل بلدنا ... طلع النهار ... !! وكأن الكاتب في نهاية قصته يردد مع الشاعر الفلسطيني محمود

١- نجمة الصبح : أيوب منصور ص ٧
٢- نجمة الصبح ص ٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

درويش قبله :

وطني جبل عمرك

وعلى قدارة الميدان انسان يموت

والعلم يحترق ١٠٠ ؟ !

وكما نرى ... فالقصة قصيرة تبحث في نفس الداخل حب الوطن ، والتضحية في سبيل حريته وكرامته . وقد ألبس الكاتب قصته غلالة شفافة من الخيال والرمزية .

((نجمتنا الصغيرة صارت نجمة كبيرة - نجمة صباح يبا أهالي بلدنا طلع الضوء !)) ولعل توفيقه في اختيار اسم البطلة لعب دورا كبيرا في حياكة هذا الوشاح ... كما كان الحوار فيها حادثا .....

شاردا - مع ان القصة تتطالب الحماس الثوري المغوي ١١٠٠٠ ولست أدري لماذا تخلى الكاتب عن بطلته بانتهاء دورها ... أيريد أن يجسد قول عمر أبي ريشة :

تقتضي البطولة أن نعد جسورنا

جسرا فقبل لرفاقنا أن يعبروا

اننا نجهد بقاء البطلة على قيد الحياة تشترك مع سيكولوجية الداخل ... وبهذا لتعلمه حب الحياة والصراع والتحدي لكل عابر ظلم وباطل . ومن سلبيات

١- نجمة الصبح ص ٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه القصة أيضا استخدام الكاتب تركيب ((برد الحقد ، الذى سيحطم جماجمهم)) . فالحقد البارد في رأينا لايمكن أن يحطم شيئا ... !! كما ذكرت في القصة بعض التعابير التي وضعت في غير مكانها . كقوله : ((أنا أيضا سأشترى غدا سديمة لأحملها في المظاهرة ، من ليس له أصحاب تأكله الذئاب)) ... (1) (2)

ومن ايجابياتها ... التشابيه المناسبة والمعبرة مثل : ((بعد حين تسقط نجمة كشهاب على الأرض)) كما جاءت الخاتمة موفقة أيما توفيق فهي تثير حماس القارىء للثأر والاستماتة بطريقة غير مباشرة لتحرير فلسطين .

ومن مجموعة نجمة الصبح لنفس الكاتب قصة عنوانها ((الثعلب البرى)) (3) وهي تحكي لنا : أن ثعلبا صغيرا كاد يموت جوعا ، فشاهده الراعي الذى أشفق عليه وأطعمه قليلا من طعام كلابه ، دون أن يأبه لاحتجاج الكلاب ولم يسمح لأحد منها أن يعتدي عليه ... وجعله يرافقه أينما ذهب ظنا منه انه برى . وقد استطاع الثعلب الوديع !!... بألاعيبه البهلوانية المضحكة أن يكسب ود الكلاب ، حيث وصفه كبيرها انه وديع برى ، خفيف الظل ... ولكنه أردف أن الكلب - بعود أن لا تنخدعه المظاهر على عكس الراعي الذى

1 — نجمة الصبح — ص 7 1
2 — نجمة الصبح — ص 6 .
3 — نجمة الصبح — ص 75 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أشمّت الأيام قصر نظره . وسرت الأيام ... والثعلب الصغير يفكر بحيلة يستطيع بواسطتها التهام الخراف الشهية ، فتسلل في احدى الليالي الى (وجار) الذئب وأرشده الى مكان التطيح ، واتفقا على أن يسوقها الى وجاره في حين يعمل الثعلب على إلهاء الكلاب ، وبحث الراعي - بعد أن تنبه - عن قطيعه فلم يجده ، الأمر الذي جعله يطلب من الكلاب أن تبحث عنه ، دون جدوى ... !! لولا أن الثعلب أرشدها الى المكان بعد أن تيقن أن الذئب قد قتل العديد من الخراف .

دارت معركة حامية خسر فيها الطرفان معا جعل الثعلب يغتنم الفرصة ويبحث عن ثعالب أخرى وعندما عثر عليها صحبته الى المكان ، فعملت الخراف المذبوحة ، وأعدت طعاما شهيا ، وأنهى الكاتب قصته بكذبة مرحه على لسان الثعلب الذي قال لجماعته : ويحكم اصبروا حتى ((لقمة داهمنا الراعي الكسول الأحمق)) فهرولت الثعالب عند سماعها ذلك وانفرد الثعلب بالتهام الطعام والاستغراق في الضحك مرددا بأعلى صوته هل تصدقون أن راعيا مثل الراعي الكسول الأحمق يأتي ليبحث عن قطيعه في المغاور والكهوف .. تعالوا وتابعوا طعامكم

---

١ - مجموعة نجمة الصبح ص ٧٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتنعموا بـه ١١٠٠٠٠

ومن الواضح أن القصة تعليمية وأسلوبها غير مباشر على غرار (كليلة ودمنة) وهي تعلم الطفل أن لا ينخدع بالمظاهر ، كما تعلمه أيضا أن يكون حذرا من عدوه مهما تظاهر باللطف والوداعة ، وقد جاءت مفرداتها موحية ومناسبة لموضوع القصة وأبطالها ((ينتحب - يتودد ، البهلوانية - وديعا ، التهام تسبلل - يقبط الخ))

أما قهقهة الثعلب وهو يأكل - في نهاية القصة يمكن أن تعوّد الطفل عادة غير صحيحة وهي الضحك مع الطعام وبالتالي يمكن أن تعرّض مثل هذه العادة الطفل الى الخطر اذا ضحك وهو يبتلع طعامه ...

((وما هي الا لحظات(١) حتى كانت الثعالب قد توارت في أعماق الجحور ... بينما شرع الثعلب يقهقه ضاحكا ويأكل على هواه ..))

ونرافق الكاتب مراد السباعي في مجموعته ((هدية عيد الأم)) . وهذه التسمية من باب تسمية الكل باسم الجزء على سبيل المجاز المرسل ، فقد أطلق عنوان احدى القصص وهو : ((هدية عيد الأم(٢))) على المجموعة كاملة ، ويحسن بنا أن نتأمل قصته هذه بشيء من

١- مجموعة نجمة الصبح : الثعلب البوم ص ٧٩

٢- مجموعة (هدية عيد الأم) ص ٩ نشرتها دار الانوار للطباعة دمشق عام ١٩٧٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التحليل والنقد ...

تتضمن القصة موقف ثلاثة أخوة قرروا أن يقدموا لأمهم هدية في عيد ها معتقدين أن الليرات الثلاث التي يملكونها كفيلة بأن تشترى أجمل الهدايا وأثمنها فلا عجب أن يتوقفوا أمام واجهة محل تبارى فيها ساعة فضية ثمينة ، ولم يتمكنوا من معرفة سعرها لزجرهم عن قبل صاحب المحل استهزاء بحالتهم ، فانتقلوا الى محل آخر عرضت فيه حقيبة نسائية جميلة ، حاولوا شراءها أيضا ، وكان صاحب المحل على درجة كبيرة من الخلق والذوق ، فعاملهم معاملة لطيفة ، حينما شاهدهم عازمين على الشراء ، صادرهم بالسؤال كم تملكون من النقود ؟ ، فأجابوه بصوت واحد : ثلاث ليرات ، أطرق بعيدا هنيهة ثم ضلفها وناولهم إياها وهو يقول : ((لا أريد أن آخذ منكم ثمنها ، ولكن قولوا لأمكم ان هذه المحفظة هدية من رجل مات أبوه وهو في مثل سنكم ولم يتيسر له أن يقدم لها هدية عيد الأم)) (1) ..

انها قصة تعرّف الطفل واجبه وتعلقه بأمه ، كما تعلمه معنى الانسانية ، وتخلق في نفسه الثقة بالآخرين ، كما تعطيه فكرة عن التناقض الاجتماعي ((إنها ليست للبيع فانصرفوا والا استحملت العصا في طردكم خارج (2)

---

1 - مجموعة هدية عيد الأم ص 14 .
2 - مجموعة هدية عيد الأم — ص 11

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحل ... فسرّ الاطفال وهم خائفون)) . هذا ما قاله لهم صاحب المحل التجاري الذي دخلوا اليه في المرة الأولى .

وأسلوبها سهل ممتنع ، وتراكيبها مناسبة للموضوع . وبهذا لو ثبت الكاتب في قصته تاريخ هذا العيد .

وتطل مع الكاتب مراد السباعي .. ونفس المجموعة ، ولكن مع قصته ((البطل)) (1) التي تتحدث عن عجوز مراكشي (×) تبيع (النمورة) أمام مدرسة ابتدائية ، يحبه الأطفال ومن في الحي ، وينادونه بالبطل مما أثار فضول الأطفال الذين حاولوا أن يعرفوا منه سرّ هذا اللقب ، وبكل تواضع أفهمهم أنه ليس بطلا وانما قام بواجبه فحارب الألمان مع الفرقة المراكشية للدفاع عن باريس ، ووضح أن هذا الدفاع ليس دفاعا عن أرض الفرنسيين وانما كان دفاعا عن وجود البندي العربي وشرفه ((ولقد قيل آنذاك ان الجيش المراكشي هو الذي أنقذ باريس ، وفي هذه الكلمة ما يجعلنا نرفع رؤوسنا نحن العرب الأبطال)) . ثم يستطرد المراكشي العجوز في حديثه ، ويخبرهم كيف أن فرنسا قررت ارسالهم لاخماد الثورة العربية السورية ضدها وكيف انضم هو ومن

---

١ - مجموعة " هدية عيد الأم ص — 17 .

٢ - مجموعة هدية عيد الأم مراد السباعي ص — 21 .

(×) — ملاحظة : النمورة : حلوى شعبية سورية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منه الى صفوف الثوار . فأقنع الأطفال انه بطل فعلا ، وكم كان جوابه رائعا عندما سأله أحد الأطفال ((لماذا لم ترجع الى بلدك مراكش بعد جلاء الفرنسيين عنها)) ؟ فأجاب : ((وأين أنا الآن ؟)) ألست في بلدي)) ألست البلاد العربية كلها موطنا لكل عربي ؟)) . مما أثار الحماس في نفوس الأطفال الذين راحوا يصفقون .. فخجل المراكشي المجوز وانسحب بهدوء الى بيته .. والمدقق في هذه القصة يجد أنها تتسم بالصدق الوجداني ، والشعور الفياض ، واللغة السهلة والتراكيب التي يفهمها الطفل ((الأطفال يحبون)) نمورة المراكشي ، والمراكشي رجل عجوز كان يبيع النمورة في غرفة اقتطعها من بيته الكائن قرب احدى المدارس الابتدائية)) .

وهي تنمي في نفسه حبّ الشجاعة والبطولة والفداء ، كما تعلمه بأن الوطن العربي وطن واحد ، ولكل العرب ، تناهيك عن غرس الوحدة العربية في النفوس ، والاعتزاز بقدرة الجندي العربي وشجاعته في ساحة المعركة ..

وهي قريبة من خيال الطفل وتصوره ، لا افتعال فيها ولا تصنع ...

١- مجموعة هدية عيد الأم - مراد السباعي ص 22 .
٢- = = = ص 23
٣- مجموعة هدية عيد الأم ص 17 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما في قصة الكاتب الثالثة : ((المال لا يصنع رجالا))(1) فيها يسرد قصة تلميذ فقير اضطهدته الأيام وجعلته السنون بجهين الفقير المدقع ، ورغم ذلك فقد كان متفوقا في صفه يعز أترابه والمقابل فقد أوجد الكاتب طالبا غنيا رمز به في صفه لتكون الموازنة عقوبة بين الاثنين سعيد الفقير وأحمد الثري .

والقصة مطروقة الموضوع عادية التناول ، لكنها تؤكد حقيقة لا لبس فيها ولا غموض تتمحور في ان المال لا يمكن أن يصنع رجالا .((اسمع يا ولدي .. صحيح أنني فقير لا أملك من المال ما استطيع به أن أحقق أي رغبة جميلة من تلك الرغبات الكثيرة التي أحب أن أسعدكم بتحقيقها ، وهذا لا يهم ، لأنني كما اعتقد أحقق رغبة أسمى حين أجعل منكم رجالا يفخر بكم وطنكم الذي هو في أشد الحاجة الى العلم ..))(2) .

((قل لأولئك التافهين الذين يسخرون من فقر أبيك أن ثروات آبائكم مهما عظمت لن تجعل منكم رجالا يستطيعون الحصول على الحد الأدنى من تقدير مجتمعهم واحترامه)) .

---

1 ـ مجموعة حديثة عيد الأم ص . 75 .
2 ـ مجموعة حديثة عيد الأم ص . 79 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و((عندما وزعت أوراق البلاء على الطلاب وتسلّم سعيد أن أحمد قد رسب في صفه تقدم نحوه وقال له : كلمة واحدة سمعتها من أبي وأريد أن أقولها لك ، وهي ان المال لا يصنع الرجال)) (1).

وهي تعليمية تعلم الطفل الصبر والابتعاد عن الاتكالية ، فالمال لا يدوم ، وتعلّمه أيضا بأن الفقر ليس فقر المال ولكنه فقر العلم وليس من مأخذ على هذه القصة الجيدة من حيث اللغة الواضحة والأسلوب والخيال ، إلاّ تسرّب بعض الألفاظ غير المألوفة لدى الأطفال والتي تسللت من وراء السطور كقوله ((أمعد اللئيم)) (2).

فالبراءة تشمل أطفال العالم بأسره ، ولا يمكن أن نخصصها لأطفال الفقراء ونعفيها عن أطفال الأغنياء ..!!

يعد مراد السباعي بدخل (عطاء السنابل) للكاتب اسكندر نعمة ، فنبدأ بـ ((مدرسة الغابة)) (3).

تصور لنا القصة وضعية الغابة وما يسودها من جهل مما جعل الغزال والقرد يجتمعان

1- مجموعة هدية عيد الأم ، ص 80 ، (الجلاء المدرسي ، كشف بعلامات الطالب) .
2- مجموعة هدية عيد الأم ، ص — 75 .
3- مجموعة عطاء السنابل ص 21 — طبعتها وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق عام ١٩٨٠ م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معا .. وفكران تفكيرا سليما للخروج من هذا المأزق ، وبالفعل استطاعا أن يصلا الى الحل المتمثل بانشاء مدرسة ... يليهما تكوين مكتبة وملاعب رياضية ... وفي مساء اليوم التالي اجتمع الغزال والأرنب والسنجاب والسلحفاة والعصفور والثعلب والفيل في منزل القرد صاحب الفكرة فوقف فيهم خطيبا بعد تقديم واجب الضيافة ... وكم كانت فرحة الجميع بهذه الفكرة ... ماعدا الثعلب الذي انسحب من الاجتماع بعد اقتراح السلحفاة أن تسمى المدرسة باسمه (مدرسة القرد الحكيم) . وقد اقترح الفيل عليهم أخذ موافقة ملك الغابة لأنه - أي الفيل - على ثقة من أن الملك سيوافق فهو مفكر وطيب ومحب لرعيته . وعندما وصلوا الى الملك يتقدمهم الفيل لما له عنده من مكانة وجدوه محاطا بالخنزير البري والثعلب ووحيد القرن والذئب ، وما أن عرض الفيل الفكرة على الملك حتى قربه الثعلب ، وكشر الذئب عن أنيابه متمتما بعبارات مبهمة .

إلا ان الملك أنّب المعترضين ، ووافق على المشروع ... وبعثت التبرعات من بعض سكان الغابة .. وتعاونوا على انجازه وسميت المدرسة مدرسة الغابة ، وعين الغزال مدرسا لما يتمتع به من ثقافة ومعرفة والمام بأصول التعليم والتربية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا ما كان يتعارض والأفكار الشريرة للمعارضين الذين راحوا يروجون الاشاعات السيئة الكاذبة والتي من شأنها النيل من قيمة المعلم الغزال والمدرسة معاً ، ومن هذه الاشاعات : ان المعلم الغزال يعلم الأولاد عصيان الأهل ويعلمهم الرذيلة والتمرد والسرقة ... الا أن ذلك لم يفت من عضد الخيرين .

وصباح ذات يوم استيقظت الغابة على نبأ موت الملك وقد نصّب الذئب نفسه ملكا بشكل مؤقت ، وهذا التنصيب كان مفاجأة غير سارّة لأغلبية سكان الغابة ، ومفرحة للأشرار الذين أقاموا احتفالا كبيرا للملك الجديد ... ورغم التفسيرات المفاجئة ... استمر الغزال في دوره المعطاء .. وعمّ المعلم أرجاء الغابة .. وكم كان سرور القرد ومن معه بنجاح مشروعهم الخيّر .. الا أن عصابة الأشرار لم تهدأ فضربت القرد ضربا مبرحا .. وساعدت الملك الجديد مساعدة فعالة لالغاء المدرسة ونفي الغزال من الغابة مدى الحياة ، كما ان الملك سيعاقب بالسجن أو القتل كل من يعقد صداقة مع القرد ...

جاء هذا على لسان الثعلب في حضرة الملك الذئب ، وهكذا تختتم القصة بانتصار الأشرار واغلاق المدرسة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي حولت الى قصر خاص لملك الغابة الجديد .

بعد أن بينا مضمون القصة .. ظهر جليا ان الكاتب قد اتخذ الحيوانات أبطالا لقصته تماما كما فعل بيدبا الفيلسوف ، ولكن بشكل مسطّح ، فهي اذن رمزية تشير الى الحاكم والرعية الا أنه غرق في الواقعية .. ووقف الخيال مشدوها .. منتظرا على قارعة الطريق دون أن يعيره الكاتب ولو لفتة تطيّب خاطره ...!!

وكم حاول الخيال أن يقتنص بعينين قلقتين عن زاوية أو كوة يطل منها على أحيائه الأطفال ، دون جدوى ، فالأبواب موصدة على القصة والقارىء معا ...

علما بأن قصة رمزية كهذه تعتمد اعتمادا محوريا على الخيال الخصب ...!!

وقد لجأ الكاتب الى الأسلوب الحواري القائم على الصراع بين الخير والشر .. هذا الصراع الذي يساعد الطفل على تفريغ ما بداخله من ميول عدوانية ونزعات شريرة ويخلصه من التوترات الداخلية - كما يساعد على التكامل والنضج .

الا ان كاتبنا استدرج نفسه وتبع في خطأ فادح عندما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غلب الشر على الخير ((بعد أيام تحوّل[1] بناء المدرسة الجميل الى قصر لملك الغابة الجديد))

وهذا يتنافى وأصول التربية الحديثة التي تفرض علينا أن نحبب الطفل بالخير وننفره من الشر بطريقة غير مباشرة ، فمن المعروف في علم النفس ان الطفل يحب القوي المنتصر ويتمثله ...!!

بالاضافة الى ان بعض الصور غير محببة كتلك التي تتحدث عن العقد في قوله ، ((بينما كان العقد[2] والغيظ يأكلان قلب الثعلب والذئب والخنزير وحيد القرن ...)) .

وخاصة عندما اختتمت القصة بانتصار الشر .

أما من الناحية الشكلية وعلى الخصوص ما يتعلّق بالاخراج فاننا نرى أن الكتاب خال من الصور .

باستثناء الغلاف ، وحتى هذا فهو غير مناسب لعنوان الكتاب (عطاء السنابل) فالعطاء في رأينا يحمل اللون الأخضر .. أمّا السنابل الصفراء فلا يمكن أن تناسبها الأرضية السوداء التي غطت مساحة كبيرة من الغلاف[3] .

ولا تخلو القصة من بعض الصور المشرقة كتلك الصورة

١- مجموعة عطاء السنابل ، ص 31 .

٢- مجموعة عطاء السنابل ، ص 26 .

٣- حاشية : اننا نرى وجوب اشتراك الكاتب والفنان في صنع الغلاف ، أو على الأقل أن يخبر الفنان مايريده ليتسجم الغلاف مع المضمون .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي يصف فيها الكاتب صمت القرد بعد أن ضرب وشتم ، واستمراره في متابعة أهدافه التي تعمل على تقدم مجتمعه وخير سكان غابته .. وجعل ما تعرض له حافزا للعمل ، وكان ذلك واضحا جليا عندما قرر البدء بانشاء المكتبة . ((صمت القرد المتألم وأطرق رأسه وتابع سيره الى بيت الفيل)) .600 ((ثم عرض على الفيل مشروعا متمما للمدرسة ألا وهو البدء بإعادة مكتبة وقاعة للمطالعة)) . ومن أجمل ما ورد في القصة روح التعاون بين الخير بين المتنورين .. حيث كانت التبرعات من قبل القادرين على التمويل السبب الرئيسي لوقوف المشروع على قدميه .. يوشر بالمشروع وسار العمل سيرا حسنا ، وجمعت التبرعات من بعض سكان الغابة ، وتعاون الجميع في انجازه ((لقد جمعت التبرعات من بعض سكان الغابة وقام كل واحد بالعمل الذي يستطيعه)) . أما ما يتعلق بالمفردات المستعملة ضمن اطار القصة ، فقد كانت والحق بقال غنية ... جميلة وموحية . منها ((أرجاء - الوارفة - تتجاذبها - رحاب - يفترشون - همهمة الخ ..))

1- مجموعة عطاء السنابل ، ص 30 .

2- مجموعة عطاء السنابل ، ص 27 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما قصة ((الضفدعة والنملة))[1] فهي حوار يدور بين الاثنين قرب مستنقع صغير ، بعد استراحة النملة من العناء الذي لحق بها من جراء معركة حامية دارت رحاها بينها وبين حبة القمح الكبيرة في محاولة جادة لنقلها الى بيتها .

وقد وضح الكاتب النملة في موقف مفاجيء ومخيف عندما جعلها تسرى الضفدعة ، ثم تطمئن بعدما لقيت ترحيبها حارا منها .

ويجري الكاتب الحوار بينهما بوصف الضفدعة للنملة أوصافا جسمية سيئة من خلال قولها : ((ألم تنظري الى خصرك النحيل وكأنه يكاد ينقاطع[2])) الخ ثم تستطرد : ((تمرّ بتريك الحيوانات والحشرات[3] فلا تكاد تراك ، أو أنها تهزأ من شكلك .. المضحك ...)) وتجيبها النملة ، مفتخرة بنفسها : أنا التي أتمتع بلذة العمل الدؤوب ، وان لذتي لا تعادلها لذة في العالم ، لأنني أضمن العيش الكريم لنفسي وأسرتي ، وأبعد عنها البؤس والفقر .. الى أن تصل الى قولها : أما أنت وأمثالك فيعيشون في فقر وتسول دائم ...

ويأبى الكاتب بعد هذا الحوار الا أن يسكت الضفدعة

1- مجموعة عداء السنابل ص ٣٩ .

٢- مجموعة عداء السنابل (الضفدعة والنملة ص 42) .

3 — نفس المجموعة — ص 42 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المستسلمة ، للنملة التي رفضت مشاركتها في العمل .
قائلة لها : ان من لا يرافق الهمت والحكمة عمله
لن يستطيع أن يحقق هدفه ..!! .. وهكذا
تفترقان لتستأنف النملة النشطة نقل حبة القمح
بعزم وقوة . أما الضفدع ، فتعود الى المستنقع
لترتمي في الماء وتنق بأعلى صوتها .. لأنها
لم تتذوق طعم العمل ولذته ..

هذه القصة لم يلجها الكاتب من الباب الواسع ،
ولم يحبكها بشكل جيد ... فالحوار الذي دار بينهما
والهادف الى اظهار التناقض بين الكسل والجد
رغم الفارق الجنسي ..

جاء حواراً مباشراً مع أن بطلتي القصة
من الحيوانات .. وبهذا يعني أنه وظّف الحيوان
توظيفاً سيئاً .

أما ما يتعلق بأسلوب الصياغة الذي اعتمده
الكاتب فقد كان بعيداً كل البعد عن الناحية
التعبيرية .

اذ كان عليه أن يضع النملة في موقف مهذّب
لاتصافها بالجد والمثابرة والعبقرية ، وقد ظهر ذلك
في قولها للضفدعة ((لا يا سيدة المستنقعات (١) ..
فأنا التي أعزأ من الآخرين ، أعزأ من

١- مجموعة علماء المناهل — ص 42 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصرصور والعناكب والضفادع)) ..

هذا في رأينا يجعل النملة تفهم الضفدعة بأن أسلوبها في الحياة أسلوب خاطئ ... وأن تسعى دائما للحصول على رزقها بعرقها ... أما ما دار على لسان الضفدعة فهو يناسب سلبيتها في الحياة ..!!

وكان على الكاتب أن يستغل الحوار في اعطاء الطفل درسا في حب التعاون أيضا لا العكس ..!! فرفض النملة التعاون مع الضفدعة يعلم الطفل السلبية والأنانية المفرطة ، قالت الضفدعة للنملة (1)
((فهلا سمحت لي أن أرافقك وأعمل مثلك)) .

((لا لن تستطيعي ذلك ، فأنا أعمل بصبر وجد وأدب ، وأنت ترفعين صوتك بالنقيق والضجيج مطلقة التبرم)) الخ .

ومن بديهيات التربية الحديثة زرع حب التعاون بين أفراد المجتمع ... وغرسها في نفسية الطفل بشتى الوسائل والطرق الناجحة وفي مقارنة بسيطة بين قصته الأولى والثانية نجد التناقض الواضح في الفكرة ، فهو يحض بطريقة مباشرة على التعاون في الأولى بينما يرفضه بطريقة غير مباشرة في الثانية ..

1- مجموعة عطاء السنابل ص — 43 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما نجده في الأولى يُغلّب الشر على الخير ، بينما يضيع الطفل على مفترق الطرق في قصته الثانية ... !! وإذا دل هذا على شيء فانما يدل على عدم وضوح الرؤية لدى الكاتب وعدم التفريق بين الكتابة للكبار والكتابة للصغار . فالقصة الأولى تنقل صورة واقعية للمجتمع الجزائري الذي نعيشه ، وهي تصلح للكبار أكثر من صلاحيتها للصغار ...

أما الثانية فلا أظنها تصلح لأحد ...!!

وهنا أرى لزاما عليّ أن أشير الى أن ((عطاء السنابل)) تحوم على سطح كلية ودمنة من حيث الشكل والمضمون . اضافة الى أن القصص عندما تتراوح في موضوعاتها وتتداخل في التراث تداخلا مسلفنا للانتباه .. تضع الدارس أمام أمرين اثنين لا ثالث لهما : اما أن يتغاضى عن ذلك في محاولة منه لفسح المجال أمام الكاتب في التعبير عما يحسه دون رقيب أو أن يحلل هذا النتاج من خلال مقارنته مقارنة طفيفة مع التراث كما فعلت في العبارة السابقة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الثاني

دخول دنيا الطفولة

من بوابة العصر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

دراسة تطبيقية لقصص الأطفال في سورية

تلمسنا معالم الطريق من خلال بعض النماذج الجيدة المعبرة عن تلك المعالم ، ووقفنا على الرؤية المُفتَّشة لدنيا الطفولة ، كما استطعنا أن ندرك مدى أهمية الكتابة للأطفال وضرورة الالمام على فهم عالمهم الخاص من خلال المعايشة لواقعهم ، ودراسة بسيكولوجية جادة تخلق التواصل بين الكاتب والطفل دون أن يشعر بالملل ، وعدم الرغبة في القراءة ، وهذا أمر طبيعي لأن الطفولة عالم خاص له مقوماته وأبعاده والداخل اليه يتوجب عليه أن يكون على دراية وافية به .

ولعلنا بدراستنا التطبيقية هذه نكون قد اقتربنا أكثر فأكثر من هذا العالم الرحب الملئ بالخصوبة والتدثر بأمواج الحياة المستقبلية للأمة والمُتطلّع أبدا الى الآفاق البعيدة المشرقة .

ومن الطبيعي أن نقدّم مجموعة من الكتّاب الذين بدأوا يتجاورون بالفعل تلك المعالم ليدخلوا دنيا الطفولة وأرى أن نبدأ

بمجموعة عنوانها : (أحلام الصيّاد الكسول) ، والمتضمنة مجموعة من القصص يقدّمها المؤلّف وليد سعماري (1) ، وممّا جاء في هذه المقدّمة ((... وبما أنهما بنتان مهذّبتان ، وتحبّان بابا الذي هو أنا ، فقد كانت تعجبهما قصصي)) .

وهذا الاستنتاج والفرض الأبوّي يجعلنا نقول : ان الطفل لا يسمح له سنّه أن يكون منطقيّا ، من هنا .. يتوجّب علينا أن نعدّه مستقبليا لمثل هذه المواقف .. لذلك نرى أنّه من الأصح القول :

فقد كانتا تحبّان أن أروي لهما قصصا باستمرار ، لأنهما كانتا تستمتعان بقصصي التي كنت أبذل جهدي في اختيار الممتع والمفيد منها .

هذا ما ورد في المقدّمة .. أمّا احدى القصص فقد عُنْونت بـ ((مركب السمكة الذهبيّة)) (2) ، يدور موضوعها حول صيّاد فقير يدعى (عثمان) .. صيده لا يسد رمقه ورمق أسرته ... فصار يحلم بصيد سمكة ذهبيّة كبيرة يبيعها ويشتري زورق صيد .. وقد طال وقوفه على الشاطئ في انتظار حلمه الجميل فتملّكه اليأس بعد أن أخبره

---

1 ـ مقدمة أحلام الصياد الكسول ـ ص 5 .

2 ـ نفس المجموعة ـ ص 9 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البحر بعدم وجود مثل هذه السمكة في أحشائه .. ودله على طريقة يحقق بها حلمه المتجسّد في زورق صيد ، وذلك بالتعاون مع زملائه ...

والقصة في حد ذاتها تعليمية ... سادها الأسلوب المباشر ... وكان يهدف من ورائها تعليم الطفل عدم الجري وراء السراب ... وان العمل الدؤوب والتعاون أثمر هما الطريق الوحيد للوصول الى الغاية المرجوة:

(1)
((رفع البحر أمواجه وقال : لا يا عثمان ... يبدو أن تحلم بالسمكة الذهبية وبالزورق ، تعاون مع زملائك الصيادين واصنعوا مركبا للصيد ..))

كما أنها تُعلّمه رفض الرضوخ للأمر الواقع والتفكير في طريقة تخرجه من المأزق الحرج . وخيال هذه القصة ضعيف ، وموضوعها غير جديد ... ولم يُوفّق الكاتب في اثارة الطفل خلال عرضه ، وهذا يعني افتقارها لعنصر التشويق الذي يشكّل حجر الزاوية في القصة الطفلية .

وقد لجأ أحيانا الى استخدام المجاز ، فنادى البحر ((يا صديقي)[2] البحر ... امنحني ولو مرة واحدة سمكة ذهبية ...)) .

(3)
((أيها البحر فقد تفوق بموجه ، وداعب مركب

---

1 — مجموعة أسلام الصياد الاكسول ، ص — 10 .
2 — نفس المجموعة ص — 9 .
3 — نفس المجموعة ص — 13 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السمكة الذهبية ،وراح يستمع بجدوء الى أغنية الصيادين الجميلة)) . وسارا معا مع نفس المجموعة وتحدثا معا عن قصة (سندون والشمس) اذ يدور موضوعها حول الثلاج سندون الكسول ، والذي حاولت الشمس أن توقظه ، ولكنه بقي مستغرقا في نومه .. فحاولت الشمس

قائلة : الجميع ذهبوا الى عملهم وسندان العمل وما زلت وحدك تغط في النوم .

قال سندون : انني متعب جدا وتركه مكانه مبتعدا عن أشعة الشمس . فتركته وذهبت بمفردها الى حقل سندون وحراثه وحاولتهما ولكنهما لم يستطيعا القيام بعمل لأن صاحبهما غائب ...

ويمضي سندون متأخرا جدا .. ويذهب الى الحقل في محاولة لتعويض ما فاته الا أنه وجد ذراع المحراث مكسورا ... والساقية تطالب بتنظيفها ..الخ .. وتنمو كل الحقول المجاورة الا حقله المسكين ... وهذا لقنته الشمس درسا قاسيا تنفس عن كراهيته الكسل والخمول ١١٠٠

وفي نظرة شمولية لهذه القصة نرى أن الاسلوب

١- مجموعة احلام الصياد الكسول ص - 15 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان جافا . ومنها ما بعض الجمل غير المحببة ، (1) ((ويسل لمك .)) ((دخلت الشمس)) (2) والتهمة تعليمية .. افتقدت عنصر التشويق والاثارة ، بالاضافة الى أن مجيء الأسلوب المباشر على هذا النحو ، ينفر الصغار : ((قالت الشمس : (3) ((لكن حقلك يحتاج الى العراثة والبذار والعناية وأنت نائم)) .

وخيالها ضعيف ... ثقيل الحركة ... وكان باستطاعته أن يصوغها صياغة أجمل ... كما كان بامكانه أن يتماوج بين الحقول المخصوصرة وسنابلها الضوئية ... وشمسها الذهبية وملابسها المخمردة ...

1— مجموعة أحلام الصياد الكسول (قصة سعدون والشمس) ص— 17 .

2 — نفس القصة ص 16

3 — نفس القصة ص 17

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبد المجيد زراقط والثعلب المحتال

بطلا القصة هنا : الديك - في مقام الملك ، والثعلب في مقام ، الحاكم ، حيث يحكم الثعلب على جميع الطيور بالعقاب واضعا لكل طير حجة .. وقد استطاع (الدوري) الافلات من العقاب وذلك عندما قال للثعلب : ((من عادة التقاة المؤمنين (1) أن يتطهروا بالوضوء قبل مباشرة الحكم)) !

— وقد جاءت القصة رمزية شفافة .. لفتها سهلة وأسلوبها ليس مباشر .. وهي تحث الطفل على التفكير الجاد من خلال وضعه أمام المشكلة المتمثلة في البحث عن وسيلة للخلاص من مأزق ما ... والحق يقال : ان هذا الكاتب .. تناسب واعد بالفضل ، نأمل أن يسير حثيث الخطى ، ليتمكن من ادخالنا الى عالم الطفولة بكل صدق وعفوية وفاعلية ، كما هي الحال في قصته تلك .

1— سامر : مجلة سورية للاطفال العدد ١٦٤
الخميس ١٨/١١/١٩٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والآن مع الكاتب عزيز نصار في كتابه (أحلام الصغار)[1] فالقصة الأولى تحمل عنوان ((نبدى الجميلة)) .

يدير دفة القصة بطلان هما سامي وندى ... كان لقاؤهما صدفة حيث كان سامي يلعب بكرته في الحديقة فابتعدت عنه لتستقر بقرب ندى المتظللة بشجرة الدفلى ... وتعد قفزا وراء الكرة بين الأشجار ، وحلقا كفراشتين حول الأزهار يغمر قلبيهما الفرح ، وقد وصلا الى شاطىء البحر الحالم ليعبر سامي عن انبهاره برسمها على الرمال ... وكم سرت ندى بذلك ، وعبرت عن هذا السرور باهدائه خمرة تلمع كالنجوم ١١٠٠

وحان الوداع ليؤكد سامي رغبته في لقائها كل يوم ... فاستجابت لرغبته مما ولد عندى الصداقة ... وتنوعت الألعاب من مثابرة العصافير التي كانت تهيم بها ندى ... الى البالونات الحمراء ... وصنع الزوارق التي كان يتفنن فيها سامي ...

1- مجموعة أحلام الصغار ص 67 .
الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق عام 1983 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذات يوم عبرت نسدى عن رغبتها في ركوب زورق يمخر عباب البحر برفقة ساسي ، وفجأة ، تحولت من هذا الحلم الجميل الى الحرب ، حيث قالت : لقد سمعت الكبار يتحدثون عن الحرب فما معنى ذلك يا ساسي ... ؟ الا أنه عجز عن الجواب واكتفى بقوله : هذا من شأن الكبار . وافترقا .. !!

وبالفعل كانت الحرب قد بدأت ... ولم يعد يلتقي بندى التي كان ينتظرها في الحديقة كل يوم ... وكم أكل اليأس قلبه ... وكم تفجرت غابة أحزانه فهو لا يملك الا أن يرسم صورتها على الشاطىء ، فقد طوت الحرب ندى وهو لا يعرف عن مصيرها شيئا ... ؟!

والقارىء لهذه القصة يقف مندهشا أمام كاتبها فقد عودنا أن يكون رائعا وشفافا ينتقل من صورة الى صورة بانسيابية مندهشة ... غير أننا نرى في هذه القصة ان انتقاله من المرح الطفولي الى الحرب انتقالا أقل مما يقال عنه . غير موفق قالت نسدى : ((سأركب (١) زورقا وأسافر في البحر)) .

قال ساسي ((خذيني معك يا ندى سنسافر (٢)

١- مجموعة أحلام الصغار — ص 9 .
٢- المجموعة نفسها ص — 9 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى جزيرة مملوءة بالدراجات الصغيرة الخ))
(1)
فجأة سألت ندى ((ما معنى الحرب سمعت الكبار يتحدثون عنها)) .

((قال سامي : هذا شيء يصرفه الكبار)) .

وهي بالاضافة الى ذلك تشير القلق في نفسية الطفل ، وتضعه أمام واقع قاتم يائس عند تذكرها ، حتى وهو في أجمل أجواء الطفولة ومرحها ، فالطفل غير قادر على أن يتصور امكانية حدوث مثل هذه الأشياء ... وأن ينتقل فجأة من جو الى جو رغم محاولة الكاتب أن يولد الكره في نفس الأطفال للحرب رغم بخس الحوار فقد كان حوارا ممتعا ، ورقيقا ، وكانت اللغة بسهلة معبرة . كما لعب الخيال دورا ايجابيا
(2)
في حيوية القصة .. ((صاحت ندى)) ؛ ((أستطيع أن أطير ، وثبت بجديلتها الطويلة وحركت ذراعيها كمصفورة تحاول الطيران .)) الخ ...

وقد غذت الطفل بمجموعة المفاهيم الحياتية والجمالية ... كالصداقة وتبادل المحبة بين الناس والاختلاط بهم ((اقترب سامي من الطفلة وهو يمسك كرته
(3)

---

1 — مجموعة أحلام الصغار — ص 8 .
2 — مجموعة احلام الصغار — ص 7 .
3 — مجموعة أحلام الصغار ص 7 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقيل : هل تلعبين معي)) . ((وسحر البحر وعذوبة الأشعار)) ، وخلاصة القول : أن باستطاعة كاتبنا أن يتعامل مع قصة كهذه بطريقة أخرى فاعلة لا تشوبها شائبة ... وهو أهل لذلك .

أما في قصة ((الوطن)) (1) من نفس المجموعة فتدور حول معسكر للطليعة على البحر كلفهم المشرف برسم لوحة تعبر عن حبهم لوطنهم ووعدهم بتعليق لوحاتهم في معرض المعسكر ، بدأوا في التعبير عن حبهم للوطن ، فهذا يرسم فلاحين ، وذاك عاملا بثيابه الزرقاء وآخر جنديا ممسكا بسلاحه .. ورابعا سفينة حربية مدافعها كبيرة ...

أما حسام فقد خطت لوحته الغيوم الكثيفة ، المطلة على خيمة من خيام المشردين ، تخرج منها فوضى بندقية ..

أثنى المشرف على الرسوم إلاّ أنه توقف عند لوحة تيماء المعبرة عن مخاوف تسرح في سماء لونتها الزرقاء ، وهي عائدة الى أعشاشها - وقد أسكنتها شمس الغروب ... وعندما أخذ رأي الطليعيين بلوحة تيماء أثنوا عليها ولكنهم اعتبروها خارجة عن الموضوع .. الا أنّ المشرف خالفهم الرأي دون أن يقدم الأسباب

1- مجموعة احلام الصغار - ص 31 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقنعة للأطفال .. ويظهر ذلك في قولها :
((اللوحة[1] رائعة ... أحسنت يا تيماء أحسنت لوحتك لم تخرج عن الفكرة)) .

ومن ايجابيات هذه القصة انها غنية بالمفردات المنتقاة ، زد على ذلك أسلوبها غير مباشر ، كما أنها تعلم الطفل حب الوطن والتعلق به ، والدفاع عنه . وقد أجاد الكاتب في اعطائه الحرية للداخل ليعبر عن خياله بالطريقة التي تروق له ((جمعهم[2] المشرف وقال لهم : سوف رسم كل واحد منكم لوحة تعبر عن حبه لوطنه وحمايته)) .

ونرى أن من سلبياتها : وعد المشرف بتعليق اللوحات ((وستعلق لوحاتكم في معرض المدرسة)) ولم يف بوعده ، وهذا يعلم الطفل تكسب العهود .

كما أنه لم يكترث بآراء الأطفال بما يتعلق بلوحة تيماء ولم يسلسل سبب اعجابه بلوحتها ، واكتفى بالعموميات التي لم تستوفها لوحة تيماء كقوله : ((عندما نحب بلادنا نبنيها ونحميها ونحافظ عليها)) فالأجدى أن يعبر عنها الى لوحتي حسام وناديه .

فلوحة حسام[3] ((غيوم كثيفة في السماء وخيمة على الأرض مشدودة بحبال خشنة الى أوتاد خشبية ، ولم ينس

1- مجموعة احلام الدنانير . ص 34 .
2- المجموعة نفسها . ص 31 .
3- نفس المجموعة . ص 32 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حسنام أن يرسم بندقية لأنها حديقة للحيام والمشردين والشائرين ..))

((اللوحة(1) لبادية سفينة حربية مدافعها الكبيرة مستدة نحو الأفق البعيد .))

---

1 - مجموعة أحلام الصغار ص- 32 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرأة الكاتبة والقصة الطفلية

ليس من الغريب أن تلج المرأة عالم الطفولة وتعبر عنه لأنها جوهر الأمومة فيه ، وسلسبيل عطائه ، وهي الى جانب ذلك شاطىء الأمان ومرفأ الحنان وقادرة على معرفة ما يدور حولها ، وما يرسو في مرفأ الطفولة من سفن كبيرة وقوارب صغيرة ..

أو ليست هي الأم ، تهب عمرها كله لاسعاد أبنائها وارضائهم ..؟؟

لقد قيل : ما من عظيم الا وراءه امرأة عظيمة ، فكيف اذا كانت هذه المرأة كاتبة ..؟؟ من المفروض والحال هذه أن يكون لها باع طويل وخاصة اذا كتبت للأطفال .. لأنها تعيش على حقل الواقع ، وتعايش هذا العالم الفسيح ، وتبذل قصارى جهدها في تنشأته ... انها المدرسة الأولى التي تخرّج أبناء المستقبل وتعدهم اعدادا يتجاوبون من خلاله قادرين على مواجهة الحياة بما فيها من عقبات وصعوبات . فهل استطاعت المرأة الكاتبة أن تدخل عالم الطفولة المرحب بصدق ؟ أم انها طغت على سطحه ..؟؟ ربما يتبادر الى الذهن ان الشق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأول من السؤال جواب طبيعي ، وما أدرانا أن تنعكس الآية ؟ لذا أفضل أن نتعرّف على ذلك من خلال تقصي مجموعة من الكاتبات ، وقد رأيت أن أبدأ بقصة الأفعى والراعي للكاتبة نظيرة أكبراد تلك التي كانت تنشر قصصها في الصحف والمجلات السورية تحت اسم (نسوال علي) ، ولا أدري لماذا كانت تختفي وراء هذا الاسم أخوفا من النقد أم خوفا من وضع اجتماعي ما كهنت الشاطبي ؟ ومهما يكن من أمر ، فهذا راجع الى المؤلفة فربما تجيب عن ذلك في يوم ما ، ولا داعي لنتكهن الاجابة ...

قصة ((الأفعى[1] والراعي)) تحمل اسم المجموعة (الأفعى والراعي) وتتلخص في أن راعي القرية منذ سنين طويلة أبا ابراهيم كان صورة مألوفة لأهل القرية الذين تعودوا رؤيته مع القطيع كل مساء . ولا تقل الحقول والمنحنيات والصخور معرفة به عن أهل القرية اذ تعيا الحب بينها وبينه منذ أمد بعيد .

١- مجموعة الأفعى والراعي ص٨ . وهي من منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق عام ١٩٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أليس هو العازف الماهر الذي يُرقّص حتى الصخر على نايه ؟ ألم تخرج تلك الحية منتشية من تحت الصخرة التي تعوّد أن يبلس عليها ويعزف ألحانه الشجية ؟..

أجل لقد خرجت وكان خروجها مفاجأة مذهلة للراعي الذي حاول عبثا أن يبحث عن شيء مما يضربها به . وكانت مفاجأته الثانية عندما قالت الحية له لماذا أنت خائف ؟ (([1] لقد أحسنت العزف ، وسنكون بعد اليوم صديقين))..

ودعته بعد أن ألقت له بقطعة ذهبية لم يتناولها إلاّ بعد أن تأملها وتأكد منها وتكررت العملية مرارا . شعر بعدها أبو ابراهيم أنه بحاجة للذهاب الى الحج بعد أن أصبح قادرا ، وقبل أن يغادر يوم واحد أباح بسره لابنه وأوصاه بالعزف وأخذ القطعة الذهبية والاحتفاظ بها الى أن يعود ولا يزيد على ذلك شيئا .

إلاّ أن الابن بعد أن حصل على مجموعة من القطع الذهبية ، أكله الطمع فقرر قتل الحية والاستيلاء على الذهب دفعة واحدة ، ولكنه فشل في ذلك ولم يتمكن إلاّ من ذنبها بعد جعل الحية تفرغ سمها فيه وهي تقول : لماذا كل هذا الطمع ؟ إنك لم تجن منه إلا الموت .

1- مجموعة الأغنى والراعي ، ص 10

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشبّهت القريـة المراعـي الصغير حزينـة متألمـة وكم كان حزن الأب بعد عودته من الحج والذي صمم أن يثأر لابنه ، فذهب الى المرعى وعزف أجمل ألحانه مما أخرج الحية من وكرها وهي حذرة بعيدة عنه ، حزينة كألحانه الحزينة . وبعد أن أنهى عزفه ودون أن يراها خاطبته قائلة :

((لماذا عدت ياعزيزي[1] الى العزف ، أعرف أنك حزين وتعزف اني لن أطرب . أنا لن أنسى ذنبي وإن نسيا . وأنت لن تنسى ولدك)) .

واختفت من المكان تماما .

تأتي هذه القصة يضمر أن صاحبها قد اهتم اهتماما كبيرا باللغة من حيث الألفاظ والتراكيب. ((كان كليم القلب حزينا[2])) . ((أحسن[3] أبو ابراهيم ان وقت التيلولة قد انتهى)) . ((سكن[4] يمشي صامتا واجما)) . ((ويأخذ بالعزف[5] فتنبعث منه أنغام حزينة تهدد صمت السهول وتصل الى مشارف القرية ، والفراشات تطير من حوله جذلى بأجنحتها الشفافة الملونة)) .

الا انها أهملت ذلك في بعض الأماكن كتولها :

((تعود الجميع رؤيته مع القطيع كل مساء[6] حتى أصبح كأنه منه بشبابه الفضاضة الطويلة .)) ف ((كأنه منه بشبابه)) تركيب ضعيف من

1- مجموعة الأقحوان والراعي — ص 14/.
2 — نفس المجموعة — ص 14 .
3 — نفس المجموعة — ص 9 .
4 — نفس المجموعة ص 10
5 — نفس المجموعة ص 9
6 — نفس المجموعة ص 8

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جهة ، وتتعلق من جهة أخرى وكذلك قولها ((وان نعما)) تتعلق التباسا في اللفظ والكتابة أما قولها عندما حاول الراعي الصغير تقبيل الحبيبة ((لماذا استعجلت ذلك قبل الأوان)) ففي رأيي ان هناك غموضا في كلمة (ذلك) الواردة في سياق الجملة مما خلق ضبابية غير مستحبة .

وقد لجأت الكاتبة الى حد ما من حيث إضفاء الخيال على القصة وخاصة عندما لم يسود الأب ابنه صراحة بعدم تقبيل الحبيبة ، ((أوصى ابنه ابراهيم برعاية الأغنام وتعهد سفره يوم يباح له بسر الحبيبة وحدثه بما يمكن منها وأوصاه بالعزف ، وبأن يأخذ القطعة الذهبية ويحتفظ بها لحين عودته ، وبألا يفعل شيئا غير ذلك)) .

ومما يلفت الانتباه من الناحية التربوية تلك الحقيقة التي أبرزتها الكاتبة والمتجسدة في أن من يخالف أباه يكون مصيره وخيما .. بالاضافة الى أنها تعلم الطفل التأكد من الشيء قبل أخذه ((حاول أن يمد يده ليلتقط القطعة الذهبية ولكنه تردد قبل أن يمسها ... الخ والابتعاد عن التطبع الذي يقود الانسان الى الهاوية .

1- الأفعى والراعي ص 13 .
2- نفس القصة ص 11 .
3- نفس القصة ص 10 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبوجه عام فالقصة متهاوية الا أننا كنا نأمل أن تكون أفضل من حيث الشكل والمضمون ، وبخاصة الرؤية - أي بعيدة عن اللبس وتشابك الأفكار ليتضح الهدف العام والهدف الخاص فيستطيع الطفل أن يدرك ويعي محتواها .

قصتنا الثانية من نفس المجموعة تحمل عنوان :

((التينة المطوف[1])) . ومفادها أن شجرة تين كانت تتربع في مرج واسع يفيء اليها الناس ، وتطعمهم أحلى ثمارها ..

وذات يوم جاءت الفلاحة لتحصد السنابل ، بعد أن وضعت طفلها الصغير تحت تلك الشجرة .. ليتام الطفل .. واستيقظ مرتين وأمه منهمكة في العمل بعيدة عنه .. فما كان من شجرة التين المطوف الا أن حنت على الرضيع وهدهدته وأعادته للنوم .. وبين الفينة والفينة كانت الأم تتفقده لترضعه فتجده نائما .. صحا الطفل في المرة الثالثة وبكى بكاء شديدا دون أن تسمعه الأم ، ودون أن تستطيع شجرة التين أن تعمل شيئا له رغم محاولاتها الكثيرة فما صفقت الأوراق وأصدرت أصواتا حزينة ، وعندما سمعت الأم تلك الأصوات خافت على وليدها فعادت لاهثة ، وأرضعته وقبلت جبينه ...

1- مجموعة الأفعى والراعي ص 17 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكم كان فرح شجرة التين عظيما وهي ترى فرح الطفل غير مكترثة بما أصابها من ألم أثر في حليبها وجعله مر المذاق حادا ومازالت تلك الشجرة تحمل في ثمارها حليبا مرا لاذعا ، وتحب جميع الأطفال وتحنو عليهم ..

هذه القصة أضعف من سابقتها اذ تشعر القارىء بأنها قد لحقت لحقا شكلا ومضمونا ، فقد نفت من الأم ذلك الإحساس الخفي الذي يجعلها تحس بابنها رغم ابتعادها عنه ، ويظهر ذلك في قولها ، ((ولكن لم تسمعه أمه لطول (1) المسافة بين شجرة التين ونهاية الحقل حيث تعمل)) وفي رأيي أن الأم مهما كانت جاهلة لا بد وأن يساورها مثل هذا الشعور من جهة ولا بد أن تتصرف بحكمة في وضع وليدها ، ولا تبتعد عنه تلك المسافة الطويلة التي أشارت اليها الكاتبة فهي - أي الأم - بلا شك تخشى على رضيعها من الآفات كالحية وغيرها ...

بالاضافة الى ان هناك بعض الألفاظ التي أقحمت في القصة لا فائدة ترجى من وضعها كقولها مثلا .. ((.. لتحمل في حصاد سنابل (2) القمح الناضجة)) فكلمة (حصاد) تغنينا عن كلمة (الناضجة) .

والملاحظ من خلال القصتين أن الكاتبة تحاول أن تخلع الوصف المجرد على قصصها مما

١- الأفعى والراعي ص 18

٢- نفس المرجع ص 17

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بجملها تضيع في دراسة الانشاء ، متقفية أثر المنفلوطي في هذا المجال ... مبتعدة عن الحوار الا مباشر ..!؟

(1)

((انهمكت في عملها طويلا ، استيقظ الطفل من نومه وأخذ يبكي يريد أن يرضع ، ولكن لم تسمعه أمه لطول المسافة بينه وبين شجرة التين ونهاية الحقل حيث تعمل - ولما تعتب من البكاء تنام ، وخلال نومه جاعت والدته الخ ... فوجدته نائماً نوماً عميقاً)) الخ ..

---

1 - مجموعة الافنسى والراعي ص 18 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القصة الثالثة للناتية نظمية أكمراد هي :

(النخلة الشامخة)[1]

وهي بالفعل قصيدة جيدة ...

فحواها : حوار دار بين النخلة والعصفور المتعب ، الذي حط عليها بعد طول عناء ... هذا الحوار العلمي المفيد ، والمتمثل في تعريف العصفور علمي أن أرض النخلة (الأرض المقدسة) هي أم الحضارات في الماضي والحاضر والمستقبل .. هي مهبط الرسالات السماوية ... وتختزن في باطنها كنوز العالم من المعادن والنفط ... ولم يصدق العصفور ما روته النخلة ، فهو لا يرى الا كثبانا رملية تتلوى كما الأفاعي ... وكم نهيبه النخلة بسبب عدم النظر الى سطحية الأمور ... ولكن الشك يقبع بمراوده بعد أن فهم منها سبب هذا السمو ... وودعها وانطلق يبشر لكل شجرة يحط عليها ، سيرة سمو النخلة واعتزازها بأرض الوطن ..

إن من يقرأ هذه القصة تتراءى له الصحراء العربية بكل شموخها وعنفوانها كما يستطيع

1- مجموعة الأفعى والراعي ص ٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بوضوح أن يفهم ما ترمي اليه الكاتبة من خلال الحوار الذي دار بين النخلة والعصفور والمتمثل بإظهار قيمة الأرض ، التي ينتمي اليها الإنسان

(1)
((سألها العصفور : كيف تعيشين هنا أيتها النخلة الجليلة ؟ - انني أعيش هنا في أرضي بين أهلي وأصحابي ،وأنا سعيدة بهذا كل السعادة)) .

وهي الى جانب ذلك تعلم الطفل التعمق في فهم الأشياء ...

(2)
((يا صغيري لا ترى الا الظاهر على حد نظرك القصير ، ان بأرضي من الخيرات والكنوز ما تعجز عن معرفته ورؤيته ، ان بأرضي غابات من المعادن ومحارا من البترول ..)) .

وتساعده على رسم ملامح الماضي والحاضر وما يجب أن يكون ، وبالفعل استطاعت الكاتبة أن تجسد بلغة بسيطة وفكرة واضحة قول أبي تمام ....

كم منزل في الأرض يألفه الفتى
وحنينه أبدا لأول منزل

كما ان هذه القصة تضع الطفل أمام تساؤل مشروع : لماذا كنا في الماضي منائر تضيء العالم ... وأصبحنا اليوم على ما نحن عليه ... ؟

١- مجموعة الأغصان والرياح ص 25
٢ - نفس المجموعة ص 27

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لماذا لا نهمس أمجادنا الخوالي ...؟؟

وكذلك تربط الطفل بوطنه وأبداده بكل عز وفخر ... !!

انها قصة تطابق فيها الشكل والمضمون ، فخرجت متكاملة المعالم .. (((1) ورفعت النخلة رأسها شامخة ، لم يفهم العصفور كل ما قالته . ولكنه حزر سر صمودها واعتزازها ، وطار يعيدا ليحكي لكل شجرة يحط عليها ما سمعه من شجرة النخل الشامخة)) .

لننتقل بعدها الى الكاتبة ((لينا كيلاني)) ومجموعتها العصافير لا تحب الزجاج . نأخذ قصتين أولهما " (2) النفسجة الصغيرة " .... تد بر الكاتبة حوارا معقولا بين الورد والنرجس والرياحين وشقائق النعمان والليلاب والزهور اليومية ... والربيع وتطلب كل واحدة من الربيع أن يهبها شيئا ما ... فالورد يعتبر الربيع من صنع يديه وهو ابنه المدلل ولذا يتوجب عليه أن يعطيه الجمال والمطر بلا حساب .

أما النرجس فهي تطلب منه أن يعطيها نصيبها ، لأنها زينة الربيع .. وقد اكتفت

1— مجموعة الأغنى والراعي — ص 30 —.

2 — مجموعة العصافير لا تحب الزجاج — ص 5 — طبع الكتاب بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب بدمشق عام 1973 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الربا حين بالعطر . وتصرّ شقائق النعمان على أن يكون شكلها بديعا وتطلب بقيّة الورود والزهور ما تعوّد الناس أن يجدوه فيها ، لأنها ترفض فقدان الخصوصيّة والمزايا ، وترفض أن تشابه الآخرين .

وهكذا تسترسل الكاتبة في هذا الحوار لتصل الى البنفسجة التي بقيت صامتة ، مكتفية بالاستماع الى أحاديث الزهور والورود .

وتأخّر الربيع ذلك العام.. خاب ظن الجميع الا البنفسج الذى حافظ على نفسه وعطره الفوّاح ..

ولمّا أحسّ بغيرة الجميع منه قال : ((هل نسيتم ما أنتم عليه من الجمال والعطر ؟ مع هذا فأنا لا أغار منكم أبدا اذ لكل عطره الخاص في الحياة)) (1) .

وتنهي الكاتبة قصّتها بحديث البنفسجة : ((وأنا تعلّمت أن أكون قانعة متواضعة لأني راضية بما لدىّ ولا أحسد الآخرين)) .

القصّة بوجه عام فيها شفافية الى حد ما ، قلّل منها الاهتمام المتعمّد للكاتبة بتركيب الجمل التي تأتي قسريّة كما هو الحال في هذه الجملة : ((اذ لكل عطره في الحياة)) . التي أقحمت كما نرى ، وهي تمثّل درسا أخلاقيا قيّما

1— مجموعة العصافير لا تحب الزجاج — ص 3 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقدم للطفل في قالب غير مباشر ليؤكد الحكمة القائلة: ... ((القناعة كنز لا يفنى))

كما أن هذه القصة تحبب الطفل بالطبيعة المعطاءة ، وتعلمه كيف يحب الجميع ، والبعد عن التقليد أيضا .

وبهذا لو تخلت الكاتبة قليلا عن شكلية اللغة ، لتكون أكثر انسجاما ووضوحا .. ولتعمق الموضوع ببساطة .

أما القصة الثانية للكاتبة نفسها تحمل عنوان : المهمومة : ((العصافير لا تحب الزجاج))[1] . وتتلخص القصة في حوار بين عصفورين جائعين يطاردهما الشتاء ، يبحثان عن مأوى بعد فقدان قسم كبير من ريشهما ... وأخيرا يهبطان معا فارتطما بجزجاج نافذ حطّم أجنحة العصفورين فوقفا أمام المستنبت الزجاجي وقد سالت منهما الدماء وخرج صاحب المستنبت وهو عالم نبات يحب العصافير فحملهما برفق الى الداخل وقدّم لهما ماء نقيا وحبا نظيفا ووضعهما في قفص مذهب جميل ، ومع هذا رفضا البقاء وآثرا الحرية .

القارئ لهذه القصة يجد أن فيها من التكلف ما يجعل الطفل ينفر الى حد كبير ... وهذا

1- مجموعة العصافير لا تحب الزجاج ص ١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واضح في رأيي الى إصرار الكاتبة على الاهتمام الشكلي باللغة كما أسلفنا في القصة الماضية ورغم جودة المضمون الهادف الى غرس روح الحرية في نفسية الطفل فقد كان بالإمكان أن تبلغ بشكل أفضل .. ومجيء الحرية على هذا النحو من خلال عصفورين في قفص - موضوع مطروق جدا في الشعر وفي النشر ((وضربت الأيام .. وقال العصفور لرفيقه الى متى سنظل هنا في هذا السجن ؟؟ .)) (1). فعمر أبو ريشة مثلا قد أعطى احدى قصائده عنوان ((عصفور في قفص)) وغيره كثيرون .. وهذا لا يمنع من أن يستفاد منه في مناسبات مختلفة وأنواع أدبية متباينة .

ومما يلاحظه القارئ فقدان عنصر التشويق الذى يشكل محورا جوهريا لمتابعة قراءة القصة .

وقد حاولت الكاتبة أن تعطي الطفل بعض المعلومات العلمية ، وأن تثريه لغويا ، وأن تعلمه أنواع الورود والزهور .

أما عنصر الخيال فقد حاولت أن تستحضره بشكل أو بآخر ، الا أنه غاب في معظم القصة كقولها على لسان العصفور: ((أرى من بعيد جزيرة غارقة في الخضرة وألوان الربيع)) (2).

1— مجموعة العصافير لا تحب الزجاج — ص 12 .

2— نفس المجموعة — ص 12 و 13 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

((ألا تشعر معي أن الطقس لا يتغيّر ... فلا يهب الهواء باردا ، ولا نسمع صوت الريح عند المساء والصباح كما اعتدنا سماعها في الحقول الواسعة)).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رجـــاء أرنـــاؤوط و : (للخـــروفـــان) ، و (النحـــلة) :

عنـــوان القصّـــة : (الخـــــروفـــان) .(١)

القصـــة حـــوار بيـــن خـــروفيـــن أحـــدهمـا أســـود والآخـــر أبيـــض اللـــون مغـــرور بنفســـه متحـــال يـــرفـــض أن يقتـــرب منـــه أحـــد ، ولـــي أحـــد الأيـــام اقتـــرب منـــه الخـــروف الأســـود يشـــاركـــه المـــرعـــى فثـــار غضبـــه وأراد طـــردة ، ولكـــن الخـــــروف الأســـود حـــافـــظ عـــلـــى هـــدوئـــه وحـــاول أن يفهـــمـــــه خـــطـــأه ..

وازدادت ثـــورتـــه تـــأجـــج عنـــدمـــا نـــاداه : (يـــا أخـــي) . وقـــد رافـــق غضـــبـــه تـــوبـــيـــخ للخـــروف الأســـود وتـــوبـــيـــخـــه الاتـــهـــامـــات ، ممـــا جعـــل الخـــروف الأســـود كتيمـــــا فثـــبـــا ثغـــاء عـــالـــيـــا تجمـــع عـــلـــى أثـــره الكثيـــــر مـــن الخـــراف الســـود والخـــراف البيـــض . عنـــد ذلـــــك لهجـــم الخـــروف الأبيـــض أنهـــم جميـــعـــا مـــن فصيلـــة واحـــدة ، ويجـــب أن تحـــب بعضهـــا بعضـــا ، وأن تتعـــاون فيـــمـــا بينهـــا .

القصـــة تحـــارب العنصـــريـــة - ((عنـــدئـــذ خجـــــل(٢) الخـــروف الأبيـــض مـــن عملـــه وطلـــب الســـمـــاح مـــن الخـــروف الأســـود ، وقـــرر منـــذ ذلـــك اليـــوم أن يلعـــب ويـــأكـــل مـــع كـــل الخـــرفـــان دون تمييـــز)) .

وقـــد وفقـــت الكـــاتبـــة بتبســـيط الفـــكرة بشـــكل يناســـب

١- قصـــة الخـــروفـــان (قصـــة واحـــدة)

٢- قصة الخروفان - ص 8 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأطفال ، وهي تعلم الطفل الابتعاد عن الغرور والتكبر ، كما تحثه على التعاون ((.. غضب الخروف الأسود ، وشدا طالبها الذبدة ... وفجأة ... أقبلت جماعة من الخرفان ذات الألوان السوداء والبيضاء ..)) (1) . ولقد جاءت الرسوم مرافقة لأحداث القصة ، بشكل مناسب ، والخط واضحا مع الشكل .

أما قصتها (النحلة) (2) ... فهي تروي لنا ذهاب زينة وأخيها مالك الى الغابة للاستمتاع .. بمناظر الطبيعة الخلابة ... ومشاركتهما أفراحها . وبعد أن تعبت زينة استلقت على العشب الأخضر لتظهر فجأة نحلة تتنقل من زهرة الى زهرة ، وحاولت زينة أن تحرف السر ولما لم تستطع استفسرت من أخيها الذي أفادها في هذا الأمر ، ولم يكتفيا بذلك ، بل تتابعا النحلة حتى وصلت خليتها .. وهناك تعرفا على العمل المتقن والمنظم للملكة وأبنائها ...

في هذه القصة نجد ان الكاتبة حدثت الأطفال بلغة بسيطة ومبسطة ، وقد ابتعدت عن الاستطراد ، وأسلوبها جاء نقيا صافيا ..

---

1 — قصة الخروفان ، (قصة واحدة) ص 7 .
2 — قصة النحلة ، (قصة واحدة) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

((أقبل[1] الربيع بشرى الجميل))، ((ذهبت زينة مع أخيها مالك الى غابة قريبة من المنزل ، أخذت تلعب في الغابة ، تقطف من هنا زهرة ، ومن هناك تشم رائحة المنفوح الذي يفوح)) . وأكثرت الكاتبة من الجمل الفعلية التي من شأنها تعزيز انفعالات الطفل ((وفجأة رأت[2] نحلة جميلة تقف على وردة ثم تطير الى زهرة ثم تلامس أزهار الأشجار العالية)) .. كما أن موضوع القصة واقعي غير خيالي ، ولكن لغة الكاتبة نشطت الخيال وجعلته يتلألأ وبدا يبتسم ابتسامة صدق لأحبائه الأطفال ..

((انظر[3] الى هذه النحلة كيف تحيط الخلية كأنها حارس ..)) .

والقصة تلقن الطفل وطريقة محببة ورسما في الجد وفي معرفة قيمة العمل المنظم المتقن والتعاون أيضا . ((أجل ان كل واحدة لها العمل المخصص في هذه الخلية .. وضع مالك يده على رأسه متأملا ، أرأيت هذا النظام والاجتهاد بين النحل .)) ولكن الكاتبة أجحفت في حق مالك المشروع فهي لم تتح الفرصة له ليلعب وأن يشارك

1— النحلة ص — 3 .

2— النحلة ص — 5 .

3— النحلة ص — 8 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أختـــة زينـــة اللعـــب .. أليـــس مالـــك طـفـــلا ؟ إ..
أو ليـــس ذلـــك يعـــلـم الطفـــل حـب الانـفـــراد
وعـــدم الرغبـــة فـــي الاختـــلاط ، وبهـــذا لـــو
أتـــاحـــت الفـــرصـــة لمجمـــوعـــة مـن أصـــدقـــاء زينة
ومـــالـــك للا ســـتمتاع بتـــلك الطبيعـــة الساحـــرة وتـــعـــد
اختـــارت الكـــاتبـــة النـــابـــة مـــمرنا لأبـطالـهـــا الأطفـــال
ومـــن المفـــروض أن تختـــار الحـديقـــة لأنـهـــا تنـاســـب
الأطفـــال أكثـــر عنـــدمـــا يكونـــون بمفـــردهـــم .

الخـط واضـــح جـــدا مـــع الشـــكل ـ الصـــور وافيـــة ،
معبـــرة ، ومـــؤديـــة للغـــرض . والقصـــة مـــن منشورات
الشـركـة الـوطنيـة للنشـر والتـوزيـع بالجـزائـر ..

هـذه رحلتنا فـي القصـة الطفليـة النـمـوذجيـة ،
فهـل أجابـت عـن السـؤال الذى طرحنـاه
فـي المقـدمـة ..؟

فـي اعتقـادي ان المـرأة الكـاتبـة ،قـد اختـارت
أسـهـل السـبل ، وأيسـرهـا ، فـلم تسـتطـع
أن تـلامـس إلاّ سـطح عـالـم الطفـولـة رغـم
انهـا الأم التـي تصـب مشاعـرهـا عـمليـا فـي
تربيـة الطفـل لمـاذا وقفـت حـائـرة عـلـى
منتصـرق الطـرق ، ولـم تصـل بعـد الـى مـا
يجـب أن تصـل اليـه مـن عمـق ورؤيـة واضحـة ؟
لمـاذا بـدت أقـل درايـة ، وأكثـر سطحيّـة

ومباشرة من أمها الرجل الا القلة النادرة مثل ليلى صابا سالم والتي سنتعرف عليها في بدايات القصة الملية ..

أسئلة كثيرة تتبادر في آن واحد لتخرج بإجابة شافية هنا ، ان المرأة قد ولجت باب الكتابة للطفل بحساسية بالموهبة الفطرية ، واكتفت بذلك ناسية ان الموهبة لا تكفي لصنع أدب مهما كان نوعه معتقدة ان الكتابة للاطفال عملية سهلة لا تحتاج الى مقومات ثقافية عالية ، ومعرفة عميقة لما يحب الطفل وما يكره ، وما يمكن أن يؤثر فيه أو لا يؤثر ، وما ينفره أو يرغبه اللهم الا ذلك التحسس التلقائي كأم .

ان الموهبة كما أسلفنا في بحثنا تحتاج الى سعة اطلاع ومتابعة متواصلة لما يكتب على المستويين المحلي والخارجي .. ومن البديهيات انها تغذى بالمطالعة المستمرة ليتم تبادل التجارب من جهة ولتتمثل التجربة الشخصية التي هي بحاجة لتجارب عديدة من جهة أخرى .

اذا ما وقفنا عند مفهوم الأدب القائل : (ان الأدب صياغة فنية لتجربة بشرية) .

لا بد أن أشير الى نقطة أراها هامة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جدا وتتعلق بتصنيف أنواع القصص الطفلية النموية - فالتصنيف يضلل وضعها خطأ - لأن كل مجموعة قصصية تحتوي على أنواع أدبية متعددة ، الأمر الذى يضطرني لتكرار الأسماء والمراجع . وهذا في نظري يخلق لمتتبع هذا البحث صعوبة كبيرة في العودة الى الأصل وربما وجد نوعا من الملل ، وحسب اعتقادى ، واعتقاد الكثيرين ، أن أى بحث يحتاج الى ازالة التعقيد قدر المستطاع ، وايجاد نوع من التشويق التلقائي حتى يتحقق التواصل مطبوعا بين الباحث والمتلقي ...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد هذه الرحلة التعبة حقا ... الباحثة عن مرفأ للاستراحة القصيرة على الأقل ... أجد نفسي مشفقة على نفسي ... ولا بد من شجرة تظللني ... ومن ينبوع أغتسل به للحظات ... وعصافير تعزف على الأغصان لحنا طفليا رافقنا ورافقنا أيضا ...!!

لا أدري لماذا أشعر برغبة شديدة لذلك ... ألأنني وصلت الآن الى ((حكايات شجرة التوت))[1] للكاتب رفيق خنسة ؟؟ ربما ولا أجد مانعا من أن أقص الحكاية الأولى من هذه المجموعة .

تتمحور القصة في اختلاف الأطفال والعصافير والبقرة والينبوع حول ملكية شجرة التوت الوارفة الظلال ، الكل يريد أن يثبت ملكيته لها ...

فالأطفال يقولون : ان شجرة التوت لنا ، نحن نحميها ونتفيأ تحت ظلها ونأكل ثمرها في الصيف .. أما العصافير فهي تصر قائلة: شجرة التوت لنا نهني عليها أعشاشنا في فصل الربيع ، ونتشمس وتغني بين أغصانها نشيد الحياة .. ونأكل حب التوت الناضج . ويأتي دور البقرة لتقول : ان شجرة التوت لي ، وهي

1- مجموعة حكايات شجرة التوت ص ٩
الصادرة عن مديرية وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق عام ١٩٧٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تبدعونني طوال فصل الصيف ، وتطعمني وقها الطيب في الخريف كي يزداد حليبي ، ويكثر لحمي .. أما المنهوع فقد ظل صامتا هادئا يستمع الى نقاشهم .. ولكن هذا الصمت لم يدم طويلا حيث تحول الى احتجاج صارخ ((لماذا تختلفون على الشجرة ؟)) ((إنها لي وحدي)) فاذا غضبت منعت الماء عنها فتجف وتموت .(1)

وظلت الشجرة مبتسمة وهي تستمع الى حوارهم ثم نادت الجميع قائلة : أنتم أحبائي جميعا وأنا لكم دائما ، فصفق الجميع صائحين ((تحيا الشجرة)) ((تحيا الشجرة)) ...(2)

من خلال قراءتنا لهذه القصة نجد أن الأسلوب بسيط ، هادف ، يزود الطفل بمعلومات علمية وبطريقة غير مباشرة يظهر ذلك في قول الأطفال ((نأكل من ثمرها في الصيف)) وهذا يعلم الطفل ان ثمر التوت ينضج في الصيف وهذا لو جاءت كلمة الناضج على لسان الأطفال ، لا على لسان العصافير ((فغضبت وزقزقت بصوت واحد : شجرة التوت لنا نحن العصافير بين أغصانها تنني وتهني أعشاشنا في الربيع ونأكل حب التوت الناضج في الصيف .)) (3)

كذلك ((قال المنهوع)) ((انها لي وحدي أنا (4)

1ـ حكايات شجرة التوت ـ ص 10 .

2ـ نفس المجموعة ـ ص 11 .

3ـ نفس المجموعة ـ ص 9 .

4ـ نفس المجموعة ـ ص 10 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسقيها اذا عطشت ، واذا غضبت منها قطعت الماء عنها ، واذا لم تشرب بيست ، فلا تنبت ورقا ولا تطعم ثمرا ولا تلقي ظلا)) .

كما تعلم هذه القصة الأطفال محبة الآخرين من خلال حب الشجرة للجميع -((تمالت الشجرة بصوت حنون عذب - أيها الأصدقاء لا تغضبوا .. ولا تختلفوا ، أنا أحبكم جميعا فلا تتشاجروا ، ان غضبتي ورقي وظلي لكم جميعا)) .

أما الحوار الذى أشاره الكاتب فهو حوار ممتع يناسب الأطفال في سن الثالثة حيث يميل الطفل في هذا السن الى حب التملك ، وهي نزعة فطرية لا مفر منها كما تعلمهم الابتعاد عن الأنانية والانفراد بالشيء . ويظهر ذلك واضحا من خلال دعوة الشجرة للجميع واحتضانها لهم ، وافهامهم أنها للجميع . وان القلب بإمكانه أن يعطي الكثير من الحب والحنان للأصدقاء والأحبة ... وهذه صورة انسانية رائعة .

أما الخاتمة فهي تغرس في نفوس الأطفال حب الشجرة ووجوب المحافظة عليها وعلى بيئتها الجميلة . ((صفق الأطفال والعصافير والبقرة وغنوا بصوت واحد - تحيا الشجرة)) .

ومجمل القول : ان صور القصة جميلة ، وتدل في نفس الوقت على الروح الانسانية والصفاء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البيذهني الذى يتمتع به الكاتب شخصيا ...

ويتجلى ذلك في همسات أبطال قصته وخاصة الشجرة المحلماة التي هي محور أساسي في هذه القصة . فهي تعلم الطفل تجاوز الحدود الذاتية والبعد عن الأنانية وتخلق في نفسه حب النقاش والتوصل الى نتيجة ايجابية .. فهي اذن .. تساعد على نضوجه وتكامله وافراغ ما في داخله من حبه للتملك والانفراد بالشيء ... وتأخذ بيده للاندماج في الحياة الاجتماعية ...

هذا عن الحكاية الأولى .. فماذا عن الحكاية الرابعة ؟

الينبوع المغرور (1) ...

في هذه الحكاية يحدثنا الكاتب إلى سبع وفيق خنسة عن الينبوع وشجرة التوت .. وذلك من خلال حوار ممتع ، يبدأ الينبوع بمدح نفسه وشموخه عن الشجرة بتفضيل نفسه عليها .. دون أن تقابله شجرة التوت بالقسوة التي قابلها بها .. بل قالت له : أنت طيب وكريم .. الا أن الينبوع اعتقد أن الشجرة

1- مجموعة حكايات شجرة التوت ص ٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تسخر منه ١١٠٠٠ بعد أي استطاعت أن تقنعه بأنها تحترمه حفاظا على حق الجيرة الذي يفرض عليها أن تتعاون فأبت تبرد عطشي وأنا أفرد ظلي عليك أتيك حين الشمس ... ومع ذلك رفض المنهوم حديثها ، واتهمها بالغدر معتقدا أن شموخها يجعلها تحتقر نفسها سيدة هذا المكان ... وهددها بقطع الماء عنها ..... (١)

ولا طفقت الشجرة قائلة : ((أنت سيد وأنا سيدة)) وكل واحد منا يقدم الخير والمساعدة لأهل القرية ، ولم التغضب واشارة الشيب ؟ ولتعلم ياعزيزي ، اذا مت فأنت ستموت ، ولكنه لم يقتنع بل زاد غضبه غضبا وظل متشبثا بموقفه الى أن جاء فصل الصيف ، فقل ماؤه وجف ، بينما بقيت الشجرة تشرب الماء من خلال جذورها الضاربة في أعماق الأرض . ((غضب المنهوم واستنجع عن الكلام مع شجرة التوت . وجاء صيف حار جدا ، قلت مياه المنهوم ، ولكن الشجرة مدت جذورها بعيدا في أعماق الأرض ، و شربت ماء كثيرا ، فبخر قسم كبير منه في الهواء الساخن ، واستمر الصيف

١- حكايات شجرة التوت ، 24 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجار حتى جف الينبوع تماماً في شهر أيلول ، الخ ..)) فعاد اليها باكيا يطلب العون والمساعدة ... فطمأنته بأن الماء تبخر وسيهطل مطراً غزيراً بعد أن يتشكل غيما .. ((قالت الشجرة ، اهدأ أيها الجار العزيز ! لقد تبخر الماء كثيراً ، وسيعود لنا غيماً ومطراً وسترجع لك الماء قريبا)) (1) ..

فاعتذر عن سوئه الظاهر .. وشكر لها جميلها الذي أعاده الأمل ١١٠٠

وجاء الشتاء فعاد اليه الشباب والحيوية .. وتعود الصداقة بينه وبين جارته شجرة التوت ..

ان ما يلفت الانتباه في هذه القصة أن الكاتب قد أعطى دورا هاما للأنسنة : ((قال الينبوع ، فغضب الينبوع وامتنع عن الكلام مع شجرة التوت ، وراح يشكر شجرة التوت)) .. وهذا شيء جميل ومحبب للأطفال ، الى جانب مزج الكاتب الخيال بالواقع ..

وما يتعلق بالقيم الجمالية .. فقد حافظت القصة على الأهداف الرئيسية للتربية ومنها سعة الصدر التي تزهد النميمة .. وتفتح بابها لتراجع المخلص عن خطأه .. وذلك من خلال موقف الشجرة من الينبوع في النهاية .....

1- حكايات شجرة التوت ص 25

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(1)
((اهدأ أيها الجار العزيز .. لقد تهدر الماء كثيرا وسيبود لنا غيما وماطرا وسيرجع الماء لك قريبا)).
وقالت له أيضا ((لاتكن يائسا ، ابق في بكتابك ، لقد انتهى فصل الشتاء ، يحمل معه مطرا غزيرا ، وسوف تعود شابا فتيا كما كنت الخ ..))
فيعتذر الينبوع للشجرة ((لقد أخطأت معك أيتها الجارة سامحيني الخ .)) كما تعود الطفل على الصدق دائما والشفقة بالنفس و بالآخرين ((وجاء الشتاء ، كان يحمل معه مطرا كثيرا كما قالت شجرة التوت الخ .)).
وهي بالاضافة الى ما تقدم تقدم الحقائق العلمية مبسّطة ، يستطيع الطفل أن يهضمها بسهولة ويضوح ؛ (علاقة حياة الينابيع بالأشجار والمطر .. الماء الذي تشربه الشجرة يتبخّر ويتحوّل الى غيم يسقط مطراً .. الخ
((ردت الشجرة : ياعزيزي اذا مت من العطش ستموت أنت أيضا ، وتتخلص عنك المياه ، أنا أشرب ماءك ، ولكن هذا الماء يتبخّر ويتحوّل غيما ، ثم يهطل مطرا ، ويعود لك ماء عذبا ، فلا تفتخر إذا مت أنا فستموت أنت .)).

اذن فهي تعد الطفل اعدادا نفسيا واجتماعيا فتزرع في نفسه الطمأنينة والسراحة من خلال التعاون والثقة والصدق .. وهي من الناحية الاجتماعية تعمل

1- حكايات شجرة التوت - ص 25 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على كبح جماح الغضب، وعدم مقابلة الشر بالشر، وهذا يغرس في داخل الطفل حب الخير والعطاء، ووجوب تكوين علاقات عامة هدفها الخير للجميع ... كما تفهم الطفل أن الحياة السعيدة هي المتمثلة بالحياة الاجتماعية . 1 ، ويظهر ذلك من موقف الشجرة الايجابي المرتكز على عدم التخلي عن الينبوع في ساعات الشدة. وهذا يعزز رأينا الذى ذهبنا اليه، والمتجسد في أن الكاتب قد دخل القصة من باب واسع ... بحوار شيق .

ومن كتاب القصة القصيرة المتميزين في سورية ((زكريا تامر))، والذى هو من أوائل من أدلوا بدلوهم في ينبوع الطفولة العذب، فرسم طريقا اتسم بالجدة والجاذبية، وتفاعل موضوعيا والواقع الذى نعيشه ، واذا بقصص الأطفال في أدبه تحمل رمزا شفافا، وخلفية عميقة، وثقافة واسعة. وهذا طبيعي ، فزكريا تامر يعرف بوعي لمن يكتب . ونسوق هنا نموذجين لقصصه الأول : ((ماجرى (1) للدجاجة لا تفكر)) ، والثاني : ((ملك عصافير السدر (2))) .

— في النموذج الأول يعقد الكاتب لقاء بين دجاجة يطاردها ثعلب من مكان الى مكان ليأكلها، وحمارين تستشيرهما في كيفية التخلص من هذا المأزق . يشير عليها الحمار الأول بأن لا تيأس ((فاليأس مرض مميت والمصاب به مهزوم لا محالة)) . الا أن الدجاجة

1— صحيفة المساء ص 8 تاريخ 3/11/1986 .

2— صحيفة المساء ص 8 تاريخ 29/9/1986 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يسرق لها هذا التفاؤل ، لأن ((الكلام المتفائل سهل على من لا يطارده ثعلب ذو أنياب تقتل)) . مما حدا بالحمار الثاني للقول : ((اذا ماذا ستفعلين ؟)) . وما كان من الدجاجة الا أن قالت : ((أنا مجرّد دجاجة مسكينة لا تقوى على التفكير في أحوالها)) .

وتطوّع الحماران للتفكير نيابة عنها ، وباعتزاز قال الحمار الأول : ((نحن مشهوران بتفكيرنا العميق)) ، ووافقه الثاني بهزّة من رأسه ، وقادهما التفكير بعد طول المشاورة الى الادلاء بنصيحتهما : ((النمر يكره الثعلب ، فاذا ذهبت الى النمر شاكية فلا بدّ من أنه سيخلّصك من عدوك)) . وأشلج صدرها ، ((وقصدت النمر باكية شاكية)) ، ولكن المسكينة لم تتمكّن من اتمام حديثها ((بسبب حادث مؤسف مباغت جعلها تستقر في معدة النمر)) . ان هذا الاستقرار في جوف النمر يبعث عالما طفولها مرحا ، يعيد الكبير الى طفولته ، رغم الواقع المأساوي ، وهذه لفتة ذكيّة من الكاتب تدل على روحه المرحة وعمق تجربته .

ولا يخفى علينا حسن اختيار البطل لهذا الموقف ، فصوت الدجاجة مألوف .

أمّا البطلان المفكّران ، فقد أحسن استخدامهما ، لسببين هامين ، الأول اثبات بساطة الدجاجة وسطحيتها ، وعدم قدرتها على التفكير ، واتكاليتها ، وقبول النصيحة على عواهلها دون تمييز بين الغباء والذكاء ، وثانيهما : الغرور الأعمى ، والادّعاء الأجوف المتمثّل في الحمارين ((نحن مشهوران بتفكيرنا العميق)) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهدف الكاتب من وراء ذلك أن السذاجة تقودنا الى قول الشاعر :

كالمستجير من الرمضاء بالنار) .

كما أن الاعتداد بالنفس الذى في غير مكانه يسير بنا الى الهاوية .

وأخال " زكريا تامر " يهمس قائلا :

الثقة المطلقة البعيدة عن الحذر ، والاعتماد الكلي على الآخرين دون فرز ، وتقبّل الآراء كما هي بلا وعي أو ادراك ، كل ذلك يضع الانسان كريشة في مهب الريح .

والممتع حقا في هذه القصة ، اختيار الكلمات والتعابير البسيطة المعبّرة ، والموحية في آن واحد .

((أبشرى :: . !! زال همّك وغمّك . أطلقت الدجاجة صيحة فظة . أعجبت الدجاجة بالاقتراح ، وبادرت الى العمل به)).

ومما يزيد في تفاعل الطفل مع هذه القصّة تلك الرسوم المتناسقة ، المعبّرة عن الشكل والمضمون .

أمّا النموذج الثاني : ((وملك عصافير الدوري)) فيتحدّث فيه عن نسر فخور بقوته وبطشه ، وأنانيته ، يعلن أن السماء ملكه الشخصيّ ، فيمنع الطيور من التحليق فيها ، ((خافت الطيور ، وأطاعت أوامر النسر)) وراحت تبحث عن مأوى على سطح الأرض ((وحطّ عدد من العصافير الدوريّة على رقعة أرض يقيم فيها قط شرس أسود اللون)) . لايروقه الا أكل العصافير الدوريّة ، فطنت العصافير لذلك ، وبعد مشاورات طويلة اهتدت الى حل يتلخّص في تتويج القط ملكا عليها ، طمعا في أن يكف عنها ... ((دهش القط فوابتسم ابتسامة متعجّبة ماكرة ، وسارع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى الكلام ، فشكر للعصافير الدوريّة ثقتها به ، وألقى خطبة طويلة ، جميلة ، الكلمات أقسم فيها أنّه سيكرّس كل ما يملك من قوّة على حماية العصافير الدوريّة ، والدفاع عنها)) . وكم كان ترحيبها بالخطبة حارا ، واعتقدت أنها كانت مضيئة وحكيمة ، ولكن الى حين ، اذ اكتشفت فجأة بأنّه عاد الى عادته القديمة ، محاولا أكلها بنهم ، ممّا دفعها الى التحليق في الجو هربا من الملك المتوّج .. !! وعندما رأت باقي الطيور ، عصافير الدوري تحلّق في الفضاء لحقت بها واتّجه الجميع ((نحو عش النسر حانقة ساخطة ، نظر النسر الى الطيور المقبلة نحوه كسحابة سوداء مخيفة ، وتوهّم لحظة أن عينيه تخدعانه)) . وسرعان ما تبدد هذا الوهم باقتراب الطيور ((متوعّدة محتجّة)) من غير أن تكترث بتهديده ووعيده ، بل ((قال طير من الطيور للنسر : أيها النسر ، أنت قوى حقا ، ولكننا اذا هاجمناك مجتمعين فسنكون أقوى منك ، وسنهزمك أبشع هزيمة)) . وتبعه ثان يخطب : ((لماذا الكلام والانتظار ؟ هيّا ننتف ريشه ريشة ريشة)) . وفكّر النسر بسرعة فتراجع عن قراره بضحكة ((حاول جهده أن تكون مرحة لا مبالية)) ، معللا أوامره السابقة بأنها ((كانت مجرّد مزاح ، وأن السماء هي ملك الطيور جميعا)) . وكم كانت فرحة الطيور عظيمة بهذا الانتصار ، هذه القصّة تبدو مضغوطة لزخم الأفكار ، وبعد المغزى وكثرة المواضيع التي يرغب الكاتب في ايصالها الى قرائه ، فهي تعالج الأنانيّة والاستبداد ، فالقوّي يأكل الضعيف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دون رحمة أو شفقة.. وقد تتمثل ذلك في النسر..

أمّا القط الأسود الشرس العدو اللدود لعصافير الدوري، وتتسوبجه ملكا للتخلّص منه، فهذا رمز للتفكير غير المجدي، والذي يضع الأمور في غير مكانها، فيعتبر الانسان نفسه ذكيا ولا يحسب حسابا لذكاء عدوّه الذي وفّق في صوغ العبارات الجميلة، والكلمات المغرية، وقطع الوعود الكاذبة.. حتى تحين الفرصة فينقضّ على الجميع دون هوادة أو رحمة..وفتشتدّ الأزمة لتنفرج في أخذ حريّة التحليق رغم أنف النسر، وذلك بعد أن اتحدت جميع الطيور، ووقفت وقفة واحدة في وجه العدو الغاشم، فأجبرته على الخضوع والرضوخ، وهذه اشارة متدرّجة، الى وضعنا العربي الراهن، والذي لا يمكن الخروج منه، ومجابهة العدو الا بتراص الصفوف، والوحدة، التي من خلالها نستطيع أن نهزم أكبر القوى العاتية.

ربما لا يستطيع الطفل أن يستوعب كل هذه المضامين الا أنها تساعده على التفكير.. و الخروج بخط عام واضح.. فسيعرف أن النسر، رمز للقوّة والجبروت والأنانيّة، والقط الأسود عدو ولا يمكن أن يكون صديقا في يوم ما، ولا نستطيع درء شره بهذه الطريقة، فالتعاون هو الدرب الوحيد لهزيمة الأعداء مهما كانت قوتهم.

أمّا الكلمات، والتعابير في القصّة فمناسبة، والرموز المنتقاة جيدة معبّرة، فالطيور الضعيفة ـ مثلا ـ عندما اتّحدت استطاعت أن تنتصر على النسر الجارح. أمّا الرسوم فموفّقة الى حد كبير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليلى صايغ عالمها

في (رحلة)

بعد رحلتنا الأولى مع المرأة الكاتبة .. ندخل عالم الطفولة مع الكاتبة ليلى صايغ ذات الأسلوب الجميل والحلم الأجمل .. !! وقد رسمت بعض الملامح للقصة الملمحة دون أن تتقصد ذلك . هل باستطاعتنا ربما ... فليلى صايغ بعالم من هذا النوع الذي نبحث عنه ، ومجموعتها (رحلة حمار يدعى غندور) تحمل بعض المواصفات المستجدة لما نريد .. فهذه مثلاً قصتها ((الطفل الذي يحب الغيوم)) (١) والمدرجة ضمن قصص المجموعة ، أحد النماذج الحية لما ذهبنا اليه .. وفحواها أن ؛ سامراً كان يحدق في السماء فالتقت عيناه بالغيوم التي يحبها حبها لا مثيل له ، فطلب من الريح التي تسوق الغيوم أن تهبه غيمة صغيرة ... ومقابل ذلك طلبت الريح منه أن يغني لها أغنية ، نالت اعجابها فأعطته غيمة أسكنها غرفته بعد أن أحكم غلق نوافذها . فأصبحت الغيمة حزينة ... حزينة ... دهش سامر من هذا الحزن فخاطبها

١- مجموعة رحلة حمار غندور ص ٤٣
طبعتها وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق عام ١٩٨١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائلا لم أنت يا صديقتي حزينة ، ارقصي ... كوني زورقا ... كوني فيلا ... كوني سمكة. فردت عليه قائلة : أنني لا أستطيع أن أفعل شيئا وأنا سجينة . وطلبت منه أن يفك سراحها . وذهب رجاء سامر لها أدراج الرياح ، فلقد أصرت على الرحيل رغم اعجابها بصوته الملائكي الجميل الذي ذكرها بصوت جدول صغير صافحته يوميا في احدى الحقول .

ولما لم يجد سامر مبررا كافيا لهذا الرحيل أفهمته أنها مضطرة لذلك لأن عملاً هاماً ينتظرها .. فقد كلفها البحر بمهمة لا يمكن أن تتخلى عنها ، هذه المهمة المتجسدة في ارواء الأرض العطشى الواقعة في الجهة الشرقية ... ولما سألها سؤالا يدل على تعلقه الشديد ببقائها أجابته اذا بقيت الأرض عطشى تموت البذور المزروعة ، فيضيع محصول الفلاح ... وما أن سمح جوابها حتى أسرع في فتح النافذة لترتفع الغيمة في الفضاء مشكلة قاربا يحمل شراعا ، وحيّاها فرحاً وانبسطت أسارير وجهه عندما تمايلت وتمددت من جديد . فشكلت فتاة رائعة الجمال مبتسمة لسامر الذي لوح لها وهو يحدق فيها بانبهار حتى غابت عن ناظريه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحقيقة فقد استطاعت الكاتبة أن ترافق دنيا الطفولة في قصتها هذه بأسلوب ساحر تمازج فيه الخيال بحنان ورقة ... وقد تمثل ذلك في أسئلة الفيمة وإجابات سامر وامنياته .. إسألته ((من أنبت[1] ؟ ((أجاب سامر ((أنا طفل يحب الغيوم)) .

وان تحوّل الفيمة الى قارب يحمل شراعا والى فتاة رائعة الجمال .. يخدم الخيال بشكل واضح ، وبقصدية وان هذا الرمز الشفاف أضفى على القصة جمالا ساعد في ادخال السرور والسعادة الى قلب الطفل سامر ... ((صفق سامر[2] فرحا)) . كما أنه لعب دورا هاما في تقديم قيمة تربوية تتلخص بوجوب تلبية طلب الأصدقاء قدر الامكان ولا ننسى ، ان القصة تعلم الطفل ان الفيمة تتحول الى بحر يسقي الأرض ، ودونه تختنق البذور وتموت المحصول . سألها سامر : اذا لم تذهبي الى تلك الأرض البعيدة التي تطلب الماء ماذا يحدث؟ . أجابته الفيمة ((تبقى[3] الأرض عطشى ، تموت البذور الصغيرة المختبأة في جوفها ، ويبقى

1- الطفل الذي يحب الغيوم — مجموعة رحلة حمار يدعى غندور ص 44

2- نفس المجموعة ص 47

3- نفس المجموعة ص 46

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفلاح بلا محصول)) . وقد ابتعدت الكاتبة عن وضع صفة (سوداء) للخيمة تبنيها للون الذي يمكن أن يتصوره الدافل بالنسبة للون الأسود الذي يدل على الخيمة ((نادر سامر الى السماء فيرأى فيوسا تركض نحو الشرق)) (1) . وهذا يتناقض بالتالي والمعطاء المتدفق للخيمة . فقد أحسنت صنعا بعدم وضع هذه الصفة ، كل ذلك جاء في القصة من خلال أسلوب مجازي يناسب ادراك الأطفال ، مثل ((ضحكت الريح)) (2) - ((أجيبت الخيمة)) ((صمتت الخيمة وانكمشت في السقف منزعجة)) ((قالت الريح ...)) ((استمعت الريح الى أغنية سامر)) .

فالصور الواقعية جاءت قليلة ومنسجمة مع جوهر القصة وخيالها .

وهي تعلم الدافل بأن الحرية أثمن ما في الوجود ، واذا ما فقدت فلا يمكن للانسان أن يؤدي عملا مفيدا ونافعا .

أما ما أخذنا على هذه القصة ، فيتلخص في الحرية بمعناها الذي ورد في القصة ، والمعتمد على الترجي والتوسل ((هل قبلت البقاء ؟)) (3) . ((كلا .. أرجو أن تتركني أرحل)) وهذا يتناقض تماما مع المثل القائل : الحرية تؤخذ ولا تعطى ..

1— مجموعة حمار يدعى غندور . ص 43
2— نفس المجموعة ص 44
3— نفس المجموعة ص 46

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وربما مالت الكاتبة الى ذلك التعريف غير المباشر لمعنى الحريّة لاختلاف العلاقة... فعلاقة الغيمة وسامر علاقة صداقة ومحبّة ومودة ، وبالامكان أن يضحي الانسان بأشياء كثيرة في سبيل صديقه... اذا لم تتعارض هذه التضحية مع (الأنا العامة) ....

وما دمنا مع الكاتبة ليلى صايا سالم ، فلا بأس من أن نتناول قصّة ثانية ، ومن نفس المجموعة تحمل عنوان : (سامر والثلج [1]) ..

ـ في هذه الحكاية تصوّر لنا الكاتبة كيف تمرّ ضت الغيمة في الليل الى برد شديد ، جعلها ترتجف وتتناثر ثلجا أبيض بعد أن توضّح لنا في المقدمة حب سامر للثلج ..

ولذا كانت فرحته عامرة عندما رأى بساطا أبيض ناعما يغطي صدر الأرض.. أمّا الأصحاب فقد كانت حزينة ترتجف من البرد.. وكم دعت الثلج أن يرحل عنها... شأنها شأن الأرض التي ألحّت عليه بالطلب مما وضعه في بحيرات الحيرة والاضطراب والحزن ، فرحّب به جدول ، وطلب منه أن يذوب فيه ليزداد ماؤه فيتحوّل الى نهر... الاّ أن الثلج بقي جاهلا الحقيقة حائرا مضطربا ، وفجأة حيّته الشمس وغمرته بأشعتها ، فشعر بالدفء وبدأ يذوب مما أفرح الجميع الاّ سامرا الذي تزاحمت عليه الأسئلة : الثلج صار ماء ، ولكن أين اللون الأبيض ؟ من أخذ اللون الأبيض ؟ ركض سامر يبحث عنه فلم يعثر عليه... وعندما شاهد

1ـ مجموعة رحلة حمار يدعى فندور ـ ص 35 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غيمة بيضاء انهمرها بأنها هي سارقة الثلج ... فعبست وهي تقول : ولدت غيمة بيضاء ، وأنا لا أسرق .

والمتمعن في هذه الحكاية يجد أن الخيال لم يكن خيالا ممتعاً كالقصة السابقة . ((اضطرب الثلج واحتار .)) فهو لا يعرف كيف يرتحل)) وان الحكاية قد قدمت معلومات علمية عن كيفية تكون الثلج ، وكيف يتحول الى ماء بمساعدة أشعة الشمس ، وهي معلومات قيّمة مبسطة تناسب ادراك الطفل .

أما استغلال الدابحة وما يحوطها فهذا تشويه يخدم المعلومات المعرفية والخيال معا ..

((ارتجفت الاعشاب الرقيقة فقالت للثلج الذي يخايلها (٢)))..

((عبست الدودة وقالت :

((أنا لا أسرق (3) ... أنا ولدت غيمة بيضاء))

((مدّت الأعشاب الصغيرة أعناقها المبتلّة (4) وضحكت)) .

وقد جاءت اللغة سهلة مشبعة بالمعاني ، استعملت على سبيل المثال : كلمة ((يتمرغ)) (5) ((ساعد يحب الثلج كثيرا ، ((يرشقه كرات صغيرة ويتمرغ فوقه)) بدلا

---

1 - مجموعة رحلة حمار يدعى غندور 3.5

2 - نفس المجموعة ص 35
3 - نفس المجموعة ص 38
4 - نفس المجموعة ص 37
5 - نفس المجموعة ص 33

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن تقول يتقلب والسبب في رأيي يعود الى الفعل الفطري الذي صدر عن سامر ليعبر عن حبه الكبير للثلج ... تابعيك عن الجمل الايحائية الموجهة كقولها ((عيست الفهمة)) [1] ، ((أنا لا أسرق)) . أنا ولدت غيمة بيضاء فكلمة عيست تناسب الطفل وتشعره بأن السرقة شيء مكروه ، والتهمة بها أمر ليس سهلا ، كما تثير هذه الحكاية تفكير الطفل وتدفعه للبحث عن اجابات الأسئلة التي وردت فيها ... وانتهاء الحكاية بالأسئلة دليل قاطع على وضع الطفل أمام مشكلة تحثه على التفكير . ((الثلج صار ماء ولكن أين ذهب اللون الأبيض ؟)) [2]

والحكاية مليئة بالصور الجميلة ((مدت الأعشاب الصغيرة أعناقها المبللة وضحكت)) [3] .

وكانت خلفية هذه الحكاية تكمن في ((النقاء)) المتمثل في لون الثلج ...

وما يمكن أن يتعرض اليه الانسان النقي من صدمات .. ولا يخفى علينا أن النقاء صفة يتمتع بها الطفل .. إضافة الى ذلك فالحكاية

---

١ - مجموعة رحلة حمار يدعى غندور ص 38

٢ - نفس المجموعة ص 37

٣ - نفس المجموعة ص 37

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن
تتركز بطريقة غير مباشرة على اتهام الزوج مرفوض بشدة ((قفي أيتها الغيمة .. أنت من سرق اللون الأبيض ؟)) عندئذ الغيمة وقالت : أنا ولدت غيمة بيضاء)) من خلال هاتين المرحلتين يتضح لنا ان الكاتبة : ليلى صايا سالم تتمتع بأسلوب جذاب شيق ، وعبارات أنيقة إلا ما ندر .. وخيال فضفاض ... وبالفعل استطاعت أن تدخل عالم الطفولة بسر ، وأن تتوغل وتتأثر بهذا العالم البريء الغض ..!!

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكتابة الجادة للقصة العلمية

يكاد يكون طالب عمران كاتبا متخصصا في هذا النوع والمتضمن قصصا من الخيال العلمي فالفي مجموعته: ((صوت من القاع))[1].

أولى هذه القصص تحمل عنوان المجموعة ((صوت من القاع))[2]:

وتدور القصة حول سفينة فضائية يقودها بطل القصة ((ماجد)) الذي فقد السيطرة على الأجهزة، ولتعرض سفينته لأجسام مجهولة فاصطدمت بجدار من الفولاذ، مما أحدث دويا هائلا على أثره فقد الملاحون وعيهم ... وعندما صحا ماجد من غيبوبته، شعر بعيون خرافية تحدق فيه من كل الجهات — وتوقع أن تكون الكائنات الخرافية هي التي عالجته ورفاقه من هول الصدمة..

وبعد أخذ ورد يجري حوارا بين تلك الأجسام وماجد المهندس الفلكي، وخبير البعثة العلمية.. هذا الحوار الذي أفهمهم أن سفينتهم كانت تتجه الى كوكب زحل لتحط عليه. وعندما استفسر البطل عما حدث له ولرفاقه،

1- صوت من القاع: مجموعة قصصية من منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق عام ١٩٧٩

2— نفس المجموعة — ص 5 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخبرته تلك الأجسام بأنهم فوق التابوع (ميماس) أقرب أقمار زحل اليه ... وقد التقطوا بعد اخضاع السفينة لقوة الجذب ، كيان الهدف منها حماية (ميماس) ودرء أخطار كائنات العوالم الأخرى .. ويستمر الحوار العلمي المفيد لتتكون في النهاية صداقة بين هذه الأجسام الغريبة وطاقم السفينة الفضائية رغم الهول الشريرة والعدوانية التي يتمتع بها أهل الأرض ، حسب ادعاءات تلك الأجسام .. وفي نهاية المطاف تودع سفينة الأبحاث (غاما) شاكرة سكان (ميماس) مرحبة بهم على الأرض ضيوفا أعزاء وأصدقاء .. ولم ينس الكاتب أن ينوه الى أن طاقم السفينة قد تلقّن درسا في الحب والسلام ... ولبطولة نبيلة الغير المتأصلة في نفوس سكان (ميماس) لدمروا السفينة (غاما) .. وبعد عودة ماجد روى لزوجته الجميلة ما حدث ...

فتساءلت قائلة ، ما الذي يضمن لتلك الكائنات عدم الوقوع في فخ القوى الشريرة التي تسيطر على كوكبنا ..؟ .. ولما لم يتوصل ماجد الى جواب مقنع لزوجته ولنفسه أطرق بحزن وقد اعترته أحاسيس مبهمة اختلط فيها الأمل باليأس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان هذه القصة كما نرى تمتزج فيها الخيال المجنح والواقع الصعب.

وقد وفق الكاتب أيما توفيق في ايصال فوائد علمية كثيرة وطرفة مبسطة قدر الإمكان ... ((... وأخذ يرقب المدادات[1] الالكترونية ... التقط جهاز الرصد ... الخ لما لا يكون الأوكسجين متوفرا ؟ أنتم فوق التابع سيماس أقرب زحل اليه)).

كما استطاع من خلالها أن يزرع في نفس الطفل بطريقة غير مباشرة ، الحب والسلام .. ((يا سيماس[2] الرائع وبالكائنات اللطيفة قد لقنتنا دروسا في الحب والسلام ... كان بإمكانهم تدمير سفينتنا (غاما) لولا نزعة الشر المتأصلة في نفوسهم)) ، واستطاع أن ينزع من داخله ما يمكن أن يحتمل فيه من شر وضغينة ، وهو بالاضافة الى ذلك استطاع أن يثبت للطفل امكانية العيش بسلام حتى للأجسام الغريبة التي لا تعيش في كوكبنا - فكيف بالذين يعيشون معنا ...؟؟ انها في الواقع درس في التربية والأخلاق ، أملاه الكاتب على الأطفال دون تكلف ... مما

1- صوت من القاع - مجموعة قصصية من منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق عام 1973 - ص 5 .
2- المجموعة نفسها - ص 11 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يوسع مداركه الطفل ... ويفتح باب المعرفة على مصراعيه ...

أما ما أخذنا على القصة بوجه عام ... فقد قدّمت سلسلات كثيرة أجنبية تروى القصة بتعريبها كما وردت عند الكاتب وكأنها مترجمة بتصرف عن هذه السلسلات وخاصة سلسل (سفينة الفضاء) ..

أما القصة الثانية من نفس المجموعة فعنوانها : (العوالم المفقودة) (1) . وتدور أحداثها في سفينة فضائية أخرى انطلقت من صاروخ ضخم ، هدفها البحث عن ماهية الأجسام الغريبة ، بعد أن أعيت السبل أكاديمية العلوم العالمية لمعرفة هذه الأجسام ... فلا الأقمار الصناعية ، ولا السفن الفضائية الأوتوماتيكية المليئة بالأجهزة المتطورة والعقول الألكترونية استطاعت أن تعرف شيئا عن هذه الأجسام التي تتحرك فرادى وجماعات في جو الأرض المشحون بالقلق والتوتر ..

وهكذا قررت هيئة الأكاديمية العليا المغامرة بإرسال نخبة من العلماء في شتى أقسام العلوم للتعرف على طبيعتها ...

---

1 ـ مجموعة صوت من القاع ص 3-13 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتخذ السفينة مسارا لها حول الأرض ، وقد بدأ الرادار يؤشر على وجود تلك الأجسام ، دون أن يتمكن (التلفزيون اللاسلكي) من رؤيتها ... وقد غزا الخوف والقلق صدور العلماء ، وخاصة بعد أن فهموا فجأة مهندس الاتصالات الى جسم ضخم يقترب من السفينة .. الى أن تجمدت حركات العلماء فجأة وبلحظات فقدوا وعيهم .. وحين صحا الفلكي العبقري الذي يتزعم السفينة ، تعلقت نظراته في الفضاء المحيط بالجسم .. وبدأ يهبط ، ينعتق من القيود التي كبلت حركته ... وقد شعر بحواسه وتفكيره وذكرياته ، وما يربطه بعالم البشر ولكن دون جسد ، وكذلك زملاؤه ... وهذا بتأثير ذلك الجسم الغريب الضخم ..

ويجري الكاتب حوارا جميلا بين العالم الفلكي العبقري وذلك الجسم ... ليتعرف العالم بعدها على أن هذه الأجسام من كوكب (لوسون) الذي يبعد عن الأرض سبع سنوات ضوئية . والذي يحمل في ثنايا ه حضارة عريقة خلقت كل أنواع الشر . كما تعرف الجسم الغريب من خلال الحوار الشيق ، على ما يحدث في الأرض من خلاف وتحارب وتدمير واستعمار وحب للقتل ... وحب للاستهلاك وغريزة السيطرة ... وبعد أن يستنكر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك الجسم ، مثل هذه الأشياء ... يتقمص شخصية العالم الفلكي بكل جزئياتها الشكلية والنفسية ويهبط الى الأرض ، ليقف بنفسه على تلك الأشياء الغظيمة .. وبعد عودته الى السفينة استنكر بشدة تلك الأشياء العجيبة التي تحدث على الأرض من دمار ، ونفوس وضيعة تتلهى بتعذيب الناس ... وقد تمكن ذلك الجسم من اقناع العالم الفلكي بالتخلي عن الأرض والالتحاق بكوكبهم ، (ليسون) فوافق بعد لأى ... وتطبع أوراق نعي العالم الفلكي ، وتلصق في شتى شوارع المدن والقرى ... وبين الأثير كانت هناك كائنات غريبة تشق طريقها نحو كوكب ليسون ذي الحضارة الفذة ... ومعهم كائن كان جسدا يتحرك فوق سطح كوكب الأرض ... في الواقع أن الكاتب في قصته هذه والتي كتبها عام ١٩٧٢ ، يضمنا أمام صراع قوى الخير والشر ... وهو صراع عنيف تتجلى فيه العظمة وتحقق فيه الانتصار .. انه يسحرك بأسلوبه العلمي الممتزج بالأدبي .. ويؤثر تأثيرا كبيرا في سيكولوجية الطفل الذى يتجاوز العاشرة ، فهو يبين ان العلم وجد في الأساس لبناء صرح الحضارة الانسانية ولخلق الانسان المطمئن - لا لتدمير

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الانسان وتدمير حضارته. ((هل[1] تنون تدمير الأرض ؟ لو سلكنا هذا المسلك لما وصلنا الى هذه الحضارة أنصحكم اذن بالابتعاد عن جو الأرض فعندنا من يفتك ويدمر دون سبب)) . وقد أجاد الكاتب في مقارنته الموضوعيّة بين تلك الحضارة الفذة في كوكب ليون ، والمعتمدة على الاتحاد والتعاون والتخلي عن نزعة الدمار والفتك ... بينما وضع النقيض على الأرض ((.. أى أنكم تتقاتلون فيما بينكم ، الى حد كبير .. وما السبب أحب القتل أولا ، أو حب الاستغلال وغريزة السيطرة والاستعمار ثانيا)) .

اننا بحاجة ملحة لمثل هذه القصص التي تنمي في أطفالنا حب السلام والتعاون ... والعلم المرتكز على اسعاد البشرية .

أمّا ما يتعلّق بالألفاظ والتراكيب المستعملة فهي سلسة عذبة رغم وجود بعض المصطلحات العلمية التي يقتضيها المقام...

وهذه القصّة كسابقتها تغذي الطفل بمعلومات علميّة مفيدة ... وتوسّع من خيالاته وتصوراته وتخلق في نفسه النزعة الخيّرة ...

1ـ صوت من القاع (المواليد البعيدة) ص 18

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

((الخروج من الزنزانة))[1] .

وفي قصة ثالثة لنفس الكاتب ومن نفس المجموعة تحمل عنوان ((الخروج من الزنزانة))[1] .

يتجلى أسلوب طالب عمران ليجمع بين الأسلوب الأدبي والعلمي بشكل جيد ومضمون أجود ... . يصور الكاتب في هذه القصة هروب البطل عالم الرياضيات الفذ ... من السلطان وتعرضه هو وزوجته للجوع والفقر الشديدين وبينما كانا مستلقيين على فراش رث .. لفت انتباه الزوج طائر غريب يرسل اشارات ضوئية ، وقد تبعه طائر آخر لبعث اشارات أخرى ... ومن بعيد يسمع اسمه من أفواه الأجسام الغريبة ، وكيف كانت دهشته عندما عرف أن الأجسام تعرف عنه كل شيء .

وفي حوار جذاب أخاذ بين العالم وأحد الأجسام تبين له أن هذه الأجسام كانت منذ آلاف القرون على الأرض .. وأجدادها الأوائل من المسحوقين العبيد الذين حاولوا جاهدين كسر يد الظلم والطغيان ، الا أن بطش الطغاة كان أشد

1- ص ٢٥ - صوت من القلاع .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما اضطرهم لصنع شلالات محطمات فضائية ، هربوا بواسطتها الى كوكب آخر على الطرف الثاني للمجرة ، اذ غرس الأجداد في نفس الأحفاد وجوب العودة الى الكوكب الأم ومقاومة الظلم والاستبداد ، وأكد ذلك الجسم الغريب ، أن حضارة فذة قديمة كانت على الأرض تفوق حضارة اليوم ...

حاولت هذه الأجسام أن تقنع العالم الرياضي بالذهاب معها الى كوكبها ، وقد أعطته جهازا صغيرا يضغط على زره اذا ما وافق على الذهاب الا أن المتلهف كان أسبق في قوله ((تجري الرياح بما لاتشتهي السفن)) فقد ماتت زوجة البطل ، وصحا ليجد نفسه محاطا بعساكر السلطان الذين ألقوا به في قعر بئر مظلمة ، ومارسوا عليه شعوذاتهم الفنية في التعذيب، عروه من ملابسه وألقوه على الزجاج المسحوق مرارا فيفقد وعيه ، ويسكب عليه الماء حتى يفعل التعذيب فعله ، ولا تسل عن الجرذان الكثيرة التي كانت تترقب عودته للبئر بفارغ الصبر فتنهش لحمه ، وينسى البطل الجهاز الذي أعطته له الأجسام .. ومن حسن حظه يدفعه السجان على درجات البئر فيسقط الجهاز ليكون في مأمن من جلاوزة السلطان ...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت المفاجأة مذهلة للجلادين الذين فوجئوا بهروب السجين .. على مركبة فضائية متجهة الى كوكب آخر ، هذا الهروب المستديل .....

ويأبى الكاتب الا أن يعيد تلك الأجسام الى الأرض لتقاوم الظلم والطغيان بعد أن حرقت كافة مراكبها الفضائية حتى لا تهرب فيها مرة أخرى .

وهذه لقطة رائعة من الكاتب التي حرق طارق للسفن يوم أن فتح الأندلس ...!!

قصة عذبة بالغة تمتزج فيها الأسلوب الأدبي بالعلمي في انسيابية أخاذة (1) ((لفت نظري وأنا أتابع الغيوم السارحة المتجمعة شيء يبرق .. اعتقدت في البداية انه برق .. وعندما ركزت نظري تهكنت من رؤية طائر من نوع غريب)) .

وهي بالاضافة الى كونها تعطي معلومات علمية مفيدة ، تقدم للطفل على طبق ذهبي مشرق دروسا أخلاقية قيمة ... كما تجذره في التراث ، وتجعله يقف على أرضية حضارية صلبة ..

والقصة أيضا يسبغ كاتبها في تعويم الإستقلال والاضطهاد للكادحين ((تمثل ..(2) قرن خرجنا من هذه

1- مجموعة صوت من القاع ص 26

2- نفس المجموعة ص 27

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأرض جميعا من طغيان حكامها وظلمهم ، كان الحديد - وهم الضالعية - يتعرضون لشتى أنواع التنكيل والقهر وينتشرون في بقاع الأرض يخدمون الطبقة المستغلة دون احتجاج أو مقاومة)) كما يسرع في التركيز على وجوب مقارعة الظلم مجسدا على المثل الشائع : لا يفل الحديد الا الحديد ..(1)

ان وضوح الرؤية عند الكاتب تتجلى في رفضه الديموقراطي لأي نوع من أنواع الظلم والاستعباد .. ولا يتم هذا الرفض الا بوجود تنظيم حقيقي ، يعتمد اعتمادا مطلقا على الطبقة المسحوقة التي هي وحدها القادرة على تغيير بنية المجتمع بشرط أن تكون هذه الطبقة طبقة متنورة ((شكلنا تنظيما سريا تألف من بعض افراد الطبقة الوسطى وطبقة العمال واستطاع هذا التنظيم أن يوقع بالحكام ارباكات واضطرابات أدت الى ردود أفعال عنيفة)) .

هذا تعليق بسيط على المضمون فماذا عن الشكل ؟ مفردات منتقاة موحية ... ووصف رائع لكل أحداث القصة ، ومحافظة موضعة

1- المجموعة صوت من القاع 27

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على وحدة القصة وانسيابها بتتابعها وتفوقها .. حتى
ان طالب عمران يسهر القارئ بأسلوبه
المشبع الجاد .. وثقافته العلمية المتقدمة ...
وتطلعه المستقبلي المتطلع الى الحب والسلام الحقيقيين ...!!

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

آفاق القصة الطفلية

وأساليب تطويرها

الكاتب في نظري هو رئة المزمن وشريان الدم المتدفق في جسد الحياة الخاصة والعامة وهو الى جانب ذلك ... يعمل جاهدا على تنقية الأجواء المحيطة به لتستطيع تلك الرئة أن تتنفس هواء نقيا .. فهل استطاع الكاتب العربي السوري أن يلعب هذا الدور عندما كتب للطفل ...؟؟؟! وهل تمكن بعمق أن يدخل عالم الطفولة من أبوابه الواسعة ؟ و أن يرسم معالم مدرسة أدبية متميزة ...؟؟

من خلال دراستنا لمجموعة من القصص المكتوبة للأطفال نجد أن الكاتب العربي السوري لم يستطع حتى الآن أن يلج عالم الطفولة بعمق الآ ماندر وقد اكتفى بالدخول من النوافذ أو الاطلال من الشرفة . وهذا راجع لاعتبارات عديدة أبرزها : أن معظم الذين كتبوا للأطفال لم يكونوا على دراية بما يدور في نفسية الطفل وفي أجوائه ، كما كتب بعضهم ليشبع بطريقة قريبة أنه مازال

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موجوداً ... (تناهيك عن أولئك الذين لم يفرقوا بين مرحلة الطفولة المبكرة والمتأخرة ... واقتنعوا أنهم يكتبون ... وكفى) ١١

وإذا ما أمعنا النظر يطالعنا نوع آخر من الكتّاب الذين يجهلون تماماً ميول الطفل ونوعية القراءة القصصية التي يرتاح اليها ... لذا كان لزاماً على الكاتب أن يعي ويعلم بأن واقع فن القصة القصيرة يحظى بأكبر عدد ممكن من القراء الأطفال ، وان نوعية القصص القصيرة التي يرغبونها : الفكاهات والموضوعات الطريفة ، يليها ذلك المقالات العلمية والرحلات ، وأقل الموضوعات استثارة هي المقالات السياسية . وما دامت القصة القصيرة هي المحببة والمفضلة بالنسبة للأطفال ، فلا بد لنا أن نثبت العناصر الفنية للقصة والمتمثلة في :

((الحدث ، الشخصيات (١) - الحبكة - اللغة - الخيال - المغزى)) أو الهدف الذي يرمي اليه الكاتب .. ولا بد من التركيز على ضرورة حمل القصة عقدة واحدة

١- الحوار في قصص الأطفال ، عربي الحاضي ص ٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأن الطفل لا يستطيع أن يربط بين أكثر من عقدة ، ومن المفروض أن يعرف الأديب مراحل الطفولة ، فلكل مرحلة بناؤها وهدفها الخاص ، فعلى سبيل المثال : لا يمكن أن نزج موضوعا سياسيا في المرحلة الأولى من مراحل الطفولة ، اذ يتعذر على الطفل أن يدركه بسهولة ، وما دمنا في مراحل الطفولة لا بأس أن نشير بسرعة الى تلك المراحل : (1) فالمرحلة الأولى من (3 — 6) سنوات ، وفيها يتمركز الطفل حول الذات ، ولا يخرج عن نطاقها .

والمرحلة الثانية من (6 — 9) وهي مرحلة الكون ، والأخذ بالاتجاه نحو العالم ، ومحاولة كسب المعرفة لأسرار الوجود والحياة ، أو بمعنى أوضح ارتباط الطفل بالواقع نتيجة نموه الادراكي والاجتماعي .

والمرحلة الثالثة من (9 — 12) وهي التي تتمتع بالقدرة على الخيال والتخيل ، والتمييز بين الأشياء . هذا الخيال

---

1 — أدب الأطفال في الوطن العربي — مجدل علي — مجلة المعلم العربي ، ص / 126 / .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الـــذى يجـــب أن يـــراعـــى لكي يصبـــح ابتـكاريـــا يجنـــــح من خـــــلالـــه الطفـــل الى رؤيـــة العالـــم بعيـن البصيـــرة.. أى بمعنـى محـــاولـــة الطفـــل تقييـــم الأشيـــاء والتمييـــز بينهـا كمـــا أســـلفنـــا ... فيتخـــلّـــص تـدريجيـــا من الادراك الحسي الى الادراك المجـــرّد ، وهو ما يســـمّى في عـلـم النفـــــس بالـــذكـــاء النظـــري .

المرحـــلة الـــرابعـــة من (12 — 15) وتعتبـر أرقـــى مرحـلـة حيـــث ينتقـــل الطفـــل من مرحلة الطفولـة الى المراهقـــة وتتـــرسّـــخ فيها القيـــم والمثـــل .. 11

ومعـــرفـــة الكاتـب لطبيعـــة التـــوجّـــه ونوعيتـــه يفتـح أمـامـــه آفـــاقـا واســـعة .

ومن هنـــا نستطيـــع القـــول بأن الأطفـــال في المرحلـة الأخيـرة ... يقبـــلـــون بشـــغـــف على قـــراءة القـــصص الخياليـة أكثـر من اقبالهـــم على القصـــص التاريخيّـــة أو الـــرحـــلات .. وهـــــذا يجعلنـــا نلـــح على هذه الظـاهـرة الصحيّـــة فـــي مثـل هـــذه الســـن شـــريطـــة أن لا تستمـــر الى ما لا نهـايـة. اذ يجـــب تخطّـــيهـا ، والتمتـــع بالقـــصص الواقعيـــة ... وإلا أعيـــق تـــقدّم الطفـــل ، وأخـــر نمـــوه .. فالفائـدة المرجـوّة مـــن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قراءة قصة ما تندرج في اطار تنمية رصيد الطفل اللغوى والنفسي والذهني ، ولا يخفى علينا ان التعبير من أهم الحاجات للطفل . . . ومن الضرورى أن نثروّى لينمو الطفل سويا ، ويصبح فيما بعد قادرا على الاستقلال الذاتي ، والابداع ، والتكيّف مع عالم الواقع المتغيّر باستمرار . فالتعبير يلعب دورا رئيسيا في تطوير شخصيته ، وهو الذى يحقق الاتصال والتواصل بين الدائرتين المركزيتين (العالم الداخلي للطفل ، والعالم الخارجي) . وهو يغذى الجانبين التعليمي والترويحيّ . وخاصة اذا عرفنا ما للقصّة من سلطان كبير في السيطرة على الأفكار والقلوب ، فهي التي أنجبت شهر ازاد من مصيرها الأسود الذى ينتظرها . ولا نضيف جديدا اذا قلنا أن الشخصية في قصص الأطفال تلعب دورا كبيرا في عملية تشويق الطفل وربطه بأحداث القصّة ، فالحوادث تحركها أبطال القصّة لذا فاننا نعتبرها بمثابة الروح للجسد . وهذا يقودنا الى القول : بأن كل طفل يملك طبيعة طفلية ، والى جانبها شخصيّة خاصّة به .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عرفنا في مقدمة هذه الأطروحة أن القرن التاسع عشر قد شهد ولادة الأدب الحقيقي الموجّه للأطفال .. الذى اعتمد على التركيب الوصفي المستملك لأشرعة توصله الى قوة الخيال .. وأهم ما يتميّز به استشراف المشهد ، ووضعه في حيّز مكاني مناسب . ..

ويلعب الخيال دورا هاما حين يضفي على الكلمات بعدا اضافيا . ومن هنا كان السياق السردي يحمل فقر أدوات الحكاية والحوار ..

كما يجب أن نحدد أنواع الخيال المخيفة والمفزعة عن أدب الطفولة حتى لا ينتج عنها قلق واضطراب في المفاهيم عند تمازج الخيال والحقيقة في قصص الأطفال ، لأن ذلك يشكّل رؤية مبهمة عند الطفل . ومن الواضح أن الخيال يكمن في طبيعة الخطاب الأولي للطفل ، والقول الفصل في هذا المجال لجمهور الأطفال وقدرته اللغوية .. ومدى استعداده للمشاركة .

ونحن مع القول أن الكاتب الناجح هو الذى يخلق ابداعا يتداخل فيه الحلم والواقع تداخلا تزال فيه كل الفواصل بحيث يصبح الحلم وكأنه واقع ، والواقع كأنه حلم عندما نتحدث عنه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اذن .. هذه بعض النقاط الهامة التي نراها ، بالنسبة لكتّاب قصص الأطفال في القطر العربي السوري ، والتي من خلالها يمكن أن يصبح الكتّاب في بلدنا كتّابا متميزين اذا ، ما اعتمدوا على مثل هذه النقاط الضرورية وتتبعوا مراحل الطفولة ونموها ، ولجوا أعماقها .. وهذا ينقلنا الى المضامين في قصص الأطفال السوريّة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتأرجح الأشكال الفنية ، كما رأينا بين القوة والضعف وهذا شيء طبيعي ، فالتجربة الفنية تعطينا شكلا فنيا لا يستهان به ، أما التجربة الضحلة فلا بد وأن تكون شاحلة كالصحراء ....

أما المضامين فقد لعبت هي الأخرى دورا ايجابيا حينا ، سلبيا حينا آخر ، في القصة الطفلية . فقد اعتمدت في

البدايات على الأسطورة[1] التي نمت في صدر الانسان البدائي ... وغرزت أظافرها في أعماقه ، فدفعته الى عبادة قوى خارجية عليا ، وجعلته يسترضي هذه القوى بوسائل متنوعة طلبا للمنفعة ودفعا للأذى والخطر ، ومن الملفت للانتباه حقا أننا لا نكاد نطلع على أدب أمة ما ، الا ونجدها قد ابتدعت الأساطير على لسان الحيوان ، كما ابتدعت الحكايا الشعبية الخرافية التي تتشابه تشابها كبيرا في هذه القصص والأساطير رغم اختلاف طبيعة هذه

١- الحيوان في قصص الاطفال - الفصل الثالث ص٢٩
تأليف عربي الماضي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمم ، وطريقة تفكيرها ، وتنوع أساليب أدبها وتميزه ، حقيقة واقعة لا محالة .

وما دمنا نتحدث عن الأسطورة . فلا بأس أن نبدو بأنها مجهولة المؤلف والأصل ، غامضة التاريخ والمكان .. وربما كان الانسان البدائي الأول هو مبدعها ، وهي أقدم صورة انطقت الحيوان وأنسنته من أجل الهدف الأسمى .

ومما لا شك فيه ان الأسطورة تحتمل رمزا له معنى عميق ودليل فكري ... وهي تدور حول الآلهة المتعددة ، والاحداث الخارقة ، وهي أقدم وثيقة أدبية أدخلتنا في عقلية الانسان البدائي ، ونفسيته المضطربة .. ونظرا لما لهذه الأساطير من تأثير في النفوس فقد أفاض القرآن الكريم في استخدامه للحيوان والجماد فأنطقهما ، وقد أظهرت الدراسات النفسية والعلمية والتربوية ان الاطفال قادرون على تقمص شخصية الحيوان أكثر من تقمص شخصية الانسان .

فكانت النسبة العالية من القصص التي يهواها

١- الحيوان في قصص الاطفال - عدنان العاصي ص١٠٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطفل ويقبل عليها بشغف ، هي تلك القصص التي يلعب فيها الحيوان دورا بطوليا ، وهذا راجع الى تفاعل الطفل مع الحدث الذي يلامس قلبه ، ويداعب خياله ... ومن الواضح ان القصص التي تستخدم فيها بطاقات صور الحيوان بشكل ملحوظ ، تساعد على فهم القصة أكثر من غيرها ... ومن الضروري أن تكون اللغة مفهومة وسهلة .

فالطفل لا يملك الا عددا محدودا من الألفاظ والتراكيب ... وقد بات واضحا أن تقديم الكاتب شخصية من النموذج المثالي الذي لا يعتريه أي نقص يغاير الواقع ، فمن الضروري التحول نحو البطل الثنائي أو البطولة الجماعية على رأي ((ألبيف كاسيل)) .

أما ما يتعلق (بلغة الحيوان) اذا جازت التسمية ، فهي ليست اكتشافا جديدا وانما هي اتجاه متجذر في الماضي السحيق ، و الذي يمتد الى القرن الثاني الهجري . وبدايات الثالث ، وذلك عندما قام ابن المقفع بترجمة ((كليلة ودمنة)) .

والسؤال الذي يطالعنا ، ويطالبنا باجابته هل من الضروري استخدام شخصية الحيوان في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قصص الأطفال ...؟؟ لا نستطيع أن نقول نعم أو لا ، بل يرتبط الايجاب والسلب باستخدام الكاتب للرمز الحيواني ، فاذا وفق قلنا ، نعم والا فلا ...(! ولا يمكن أن نلغي الحيوان من أدب الأطفال ولكننا نرى أنه لا بد من الابتعاد عن الاغراق في استخدام معادلة البناء الفني المتمثلة في حوار حيوان مع حيوان ولهذا نقول : انه من الممكن أن نعتمد على الحيوان بقدر ملحوظ ، على أن لا تطغى الصورة الحيوانية ، دائما على القصة ... وأن يشارك عنصر بشري في عملية البناء الفني ، فيصبح الحوار الدائر ، بين حيوان وانسان ... لتنفتح أمامنا آفاق جديدة ، وبذلك نكون قد ارتكزنا على أرضية اكثر وضوحا ، فالمشاركة البشرية تضمنا أمام مؤثرات جديدة لاكتشاف الرمز وتسهيل عملية الفهم ، وتقوي طرق الاتصال كما حدث في (كليلة ودمنة) .

وهذا ما يحتم ضرورة التماثل مع الطبيعة البشرية والحيوانية لنبرز بذلك الطبائع البشرية بجوانبها الايجابية والسلبية ، ولا يجوز أن نخلط بين الطبيعتين حتى لا تختل المعادلة الفنية للقصة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا يعني تزاوج الخيال و الواقع كما فعلت رجاء الأرنا ؤوط في قصتها (النحلة) .

وقد اعتمدت قصص الأطفال في مضمونها أيضا على البطولة والتضحية والفداء ، والتي تمحورت أساسا في القضية المركزيّة ... فلسطين ..

ويتفاوت هذا التناول من كاتب الى آخر ، الا أن جلّهم قد اتخذ التهويل والبطولات الخارقة سبيلا معتقدا أن ذلك ينمّي مدارك الطفل ، فيتمثّل الوطن بكل أبعاده ويتجسّد في أمته التي لا بد وأن تدحر العدو طال الزمن أم قصر ، ولكن من وجهة نظرنا نرى أن المبالغة المفرطة ، والتهويل والاستهانة بامكانيات العدو وقدراته وعدم الاعتقاد بأن الوحدة العربية في ظل الأوضاع الراهنة ، هي الطريق الوحيد لتحرير فلسطين ، ما هي الا أمور سلبية ترسم آلاف الأسئلة و علامات التعجب في ذهن الطفل ، فهو اذا أدرك فيما بعد أن العدو قد احتل فلسطين منذ عام 1948 ،واحتل أجزاء أخرى من الوطن العربي ، وما زال يجثم فوق صدورنا ، فلا بدّ بأن مردود مثل هذه القصص سيكون سلبيا .. لذا يتوجّب على كتّاب قصص الأطفال أن ينزلوا به الى حقل الواقع، وأن يلمحوا الى الملابسات التي تكتنف القضيّة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفلسطينيّة ، والهجمة التي تستهدف هذا الوطن من الماء الى الماء .. والاشارة الى أن الوحدة العربيّة وحرب التحرير الشعبيّة هي الطريق الحقيقي الى فلسطين .. فنحن لا نريد أن نزرد أجيال الغد : أسمع جعجعة ولا أرى طحنا ...؟ بل نريدهم أن يعوا حقيقة الواقع ، وأن يتفهّموا كلّ ما يدور حولهم، وما يهددهم في مستقبلهم.

ان الحديث عن النضال أمر ضروري وواجب، وشحذ الهمم ، وربط الطفل بوطنه وأمته من البديهيّات التي لا نقاش فيها ... ولكن من الملح أن ندخل ذلك في نفسيّة الطفل بطريقة غير مباشرة، وبوعي وهدوء .. ومن الضروري أن نعالج مثل هذه المواضيع دون ضجّة أو ضوضاء .

لقد عالجت نخبة من الأدباء هذه القضيّة بعد انطلاقة الثورة الفلسطينيّة عبر محاور ثلاثة:

التراث ، والواقع الاجتماعي ، والصراع .

ـ ففي التراث اعتمدت على نوافذ التاريخ المشرقة للأمة ، والشخصيات البارزة التي أعطت عطاء كبيرا ، وقلّما ارتكزت على الكبوات المظلمة ، وهذا راجع الى تعاملها مع التحريض الذى لا بدّ منه في هذه الفترة الحرجة، وكانت تلك النخبة تحاول ربط

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الماضي المشرق بالحاضر الذي يعبّر عنه الثوّار الفلسطينيون في تاريخنا المعاصر فاستنهضوا الهمم في قصصهم ووظّفوا شخصية صلاح الدين الأيوبي توظيفا جيدا لارتباط هذه الشخصية بتحرير بيت المقدس من أيدي الصليبيين..!

فالأحداث التاريخيّة ليست دورة تعيد نفسها، وانما هي تطور تلعب فيه الثورات الدور الأساسي. والتراث كما نعلم نهج متدفّق وأنهار لا تجف.. وهو من أوسع مجالات الابداع الفني بكافة أنواعه ومضامينه. أما الواقع الاجتماعي فهو الآخر معين لا ينضب، وقد تعامل معه الكتّاب في الماضي تعاملا يبرز حالة التشرّد والضياع، مجسّدين في تلك المخيّمات التي يقطنها أهلنا، عرب فلسطين في المنافي ... إلاّ أن هذه المخيّمات التي كانت فيما مضى رمزا للبؤس والشقاء في معظم القصص المكتوبة للصغار والكبار على حد سواء، تحوّلت بعد انطلاقة الثورة الفلسطينية، الى منطلق لثوّار التحرير، وبارقة أمل لاسترجاع الأرض المغتصبة. وباختصار فقد تحوّل الواقع الاجتماعي المتمثّل بكل ما في البؤس واليأس من معنى الى رمز تخطّى كل معالم الزمن القاسي، وأصبح مضرب المثل في العطاء السخيّ، والبطولات الخارقة، وتحويل مسار الزمان والمكان والفعل.

أما في المحور الثالث فقد لعب الصراع الحضاري

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بين الشعوب والصهيونية دورا فاعلا . ووظّفه الكتاب توظيفا يتناسب والواقع المعاش الى حد كبير ... كما وظّفوا الثورة ضد أعدائها .

لقد تضمن هذا المحور السياسة وواقع الانسان العربي في وطنه الكبير . وعلى الخصوص ، في أرضه المحتلة ، فصوّرته مصارعا لقوات الاحتلال ، موضحا للعالم توسع وعنصرية رأس حربة العدوان - اسرائيل -

ولا تقل المواضيع الاجتماعية التي وردت في قصص الأطفال . مبالغة عن سابقتها - وهذا يقودنا الى القول :

ان معالجة المواضيع الاجتماعية تحتاج الى الرزانة والمنطق والدراية الواسعة . كما تحتاج الى الابتعاد عن الرمز المؤجل والاكتفاء بشفافية الرمز عند الضرورة .

ولا يخفى علينا ، أن المواضيع الاجتماعية سواء أكانت سلبا أم ايجابا بحاجة الى الوضوح ، والى لغة سهلة - يستوعبها الطفل حتى تأتي أكلها ، وبشرط أن تكون بعيدة عن الوعظ والإرشاد والخطب الرنانة - إلا ما ندر - والتي من شأنها أن تخلق الملل في نفسية الطفل . ثمة مواضيع أخرى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تناولتهما قصص الأطفال في سورية أذكر منها تلك القصص العلمية التي تفرّد بها طالب عمران ، فرغم الخيال المجنح ، ورغم الاعتماد على بعض المسلسلات الأجنبية ، وفق أيّما توفيق ، واستطاع أن يدخل الى عالم الطفولة بأسلوبه الجذّاب ، ولغته السهلة فأضاف بذلك حقائق علمية مبسطة الى معلومات الطفل .

ونخلص الى : ان " القصة الطفلية في سورية ، لم تنضج النضج الكافي - فما زالت تخطو هينا ، وتتعثر حينا آخر ، راسمة شكلا حلزونيا متشابكا ، يشكل في كثير من الأحيان أخطبوطا ثقيلا .

وفي اعتقادي ان أسباب ذلك تعود الى : هامشية الرؤية ، وسطحية المعايشة لعالم الطفولة ، وتطفيل بعض الكتاب لرواج هذا النوع من القصص ، الأمر الذي حدا بهم - وقد طفرا على السطح لوضع ما - أن يحاصروا الكتاب المقتدرين ، ويضعوهم ضمن دائرة مغلقة قلما تسري النور .. مما جعلنا نلح على وجوب دراسة جدية مبرمجة ، تأخذ بعين الاعتبار : معطيات الواقع الذي يعيشه هذا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النـــوع من الأدب ، وكيفيـــة تـوظيـــف الرمـوز الحيوانيّـــة ، أو الطبيعية والانسـانيـة معـا ، توظيفـا سليمـا لا يتنافـى والواقـع حتى لا يحـــدث الخـلـط فـي ذهـــن الطـفـــل ، ويصبح غير قـادر على التمييز بيـن مـا هـــو واقـــع وما هو خيـــال .

ومـــا أحـــوجنا اليـــوم الى كتّـــاب ملتـزمين برسالـة الكلمـــة وشـــفافيـــة الـرمـــز ، وواقعيـــة المضمـــون بعيـدين عن الغمـــوض وهيمنـــة الـــروح التجـــارية ، تمـــامـا ، كحـاجتنـا الى حريـــة التعبيـــر ومـصـــداقيـــة الفعـــل .. !!

ومن هـذا المنطـــلق لا بـــد وأن يعـــي الكتّـــاب الذين يكتبون للأطفـــال بأن هذا الأدب ليس أدبـا ترفيهيـا بـل ينبـغـي أن يـكـوّن الطفـــل فكريا وعاطفيـا واجتماعيـا .. وأن يساعـده على تخـطـي ما يعترض سبيـله من عقبـات في المستقبـل ، ولا يمكن أن يقـوم أدب الأطفـال بـدوره الفاعـل إلا اذا حصـل التـكامـل بين تـأثيره الشـعـوري واللا شـعـوري .

ولا بـــد من أن يتـلاءم والقيـم التي نريـد غرســـهـا في الطـفـــل .. فهـذه القيـم اذا كانـت تقليديـة ، يجـــب المحـافظـــة عليهـا لا لكـونهـا قديمـــة ، بل لأنهـا فـــي صـلـــب شـــخصيتـــه ، وبنائـه النفســـي والاجتماعي . واذا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كانت هذه القيم عصرية فرفضها لا يعني لكونها جاءت من حضارة غير حضارته، ولكنها تتنافى وواقعه .

ولا بدّ من حماية أدب الأطفال من المؤثّرات السلبيّة التي تتضارب والقيم التي نريد غرسها في الأجيال الصاعدة . ومن المفيد أن نعيد النظر فيما كتب ، ونغربله على ضوء القيم المدروسة التي نصبو لزرعها في نفسية الطفل ، وأن نحرص على أن تكتسب اللغة قوة التعبير والدقّة ، فليس من السهل الكتابة للأطفال اذ ينبغي مراعاة الجانب الأدبي والنفسي . ولا ننسى أن الاعتناء بجانب الاخراج ينمي الاحساس الجمالي لدى الطفل .

وكلنا يعلم أن أدب الطفولة ذو حدين ، فربما رسمت في داخله دوائر لعوالم ساحرة، وقد ترسم نجوما ميّتة.... واذا ما أردنا اكتشاف أدب الأطفال ، لابد وأن يجتمع لهذا الشأن مجموعة متكاملة يشترك فيها الكتّاب والمربّون وأصحاب المكتبات ،والنقّاد وغيرهم ممن يهتمون بالكتب الموجّهة الى الأطفال ، فهم لن يحاربوا الوسائل السمعية البصرية بل ليرفعوا من شأنها دون أن يحط

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من قدر الكتاب . فالقصة ليست درسا يلقى ، ولا موعظة تقدم على طبق نصحي للطفل بل هي مساعدة له ليفهم نفسه بشكل أفضل ، ويفهم الآخرين فهو اذن بحاجة الى الرؤية الواضحة لكل ما يحيط به وما يشعر به .

وبذلك يمكن للطفل ان ينتقل من وجود تهيمن متأزم ومشحون برغبات طفولية الى وجود مستقل أكثر ارضاء وملاءمة)) كما تقول ليلى صايا سالم .

وتستشهد الكاتبة ليلى صايا سالم بقصة عبد الله عبد الشكولا فتقول :

(٢)

ان قصة من أجمل الشكولا لعبد الله عبد من القصص القليلة الناجحة التي تعنى بالصراعات الداخلية وتحرر الطفل من ضغطها وتوجه طاقاتها اذ يعتمد بناء القصة على الحلم، بل ان القصة أشبه بحلم يقظة تنطلق فيه النزاعات المكبوتة وتتحقق مطمحة بكل العوائق)) . ففي القصة ((يموت الأب صانع الشكولا ، بل يموت كل أهل المدينة ويبقى الابن (البطل) الحي الوحيد يفعل ما يشاء ويحقق امنياته ولكن الحياة تصبح موحشة في

١- أدب الاطفال بين الرمز والخيال - مجلة الموقف الأدبي العددان ١٥٩ - ١٦٠ عام ١٩٨٤ ص ١١٨ - ليلى صايا سالم

٢- المرجع نفسه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المدينة ويفتقد البطل الهدف الانساني ، ومحبة الأهل والناس ، ويفرح حين يكتشف ان ما حدث هو مجرد حلم . وعندئذ ((يتعلق بعنق أبيه بحرارة ويقبله مرة ومرة أخرى))[1] .

اذن لا بد وأن يعالج كتابنا مثل هذا الصراع المحتدم في نفسية الطفل ، وأن يعالجوا الخير والشر لأنهما موجودان ما دام الانسان يعيش على هذه الأرض . لتقدم القصص بذلك مناخا صحيحا للتلاحم والتآلف ، ولمساعدته على تجاوز رغباته وتحويره حول ذاته ، ليصير بعدها الى مستقبله وهو قادر على اقامة العلاقات السوية مع الآخرين بعد أن يشكل وجودا مستقلا .

و ((ان ازدواجية الخير والشر في الواقع وفي النزعات الانسانية تحتم على الكاتب أن يعكسها في قصصه وان يسهل على الطفل اختيار وتمثل المواقف والاتجاهات التي تدفع بشخصيته نحو النضج ، وتساعده في الوقت نفسه على اقامة علاقات مرضية ملائمة وايجابية[2]

١- ادب الاطفال بين الرمز والخيال : مجلة الموقف الادبي - العددان ١٥٩ - ١٦٠ .

٢- ليلى صابا سالم ، أدب الاطفال بين الرمز والخيال - الموقف الادبي السورية - العددان ١٥٩ - ١٦٠ عام ١٩٨٤ - الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من المحيط ٠))

وتضيف الكاتبة ((ليلى صايا سالم قائلة :

((هذه الحقيقة لا تتوفرها[1] قصص الأطفال الحديثة بينما نجدها في بعض القصص والحكايات الشعبية في تراثنا المروي والمكتوب ٠))

وما ان يأخذ الكاتب بعين الاعتبار تلك النقاط الهامة التي اثبتناها حتى يصبح أدب الأطفال شيقا لاهتمام القراء ، واستطاعة كاتب القصة الطفلية ادخال بعد الحياة والزمن الواقعي في البنية المتجمّدة زمنيا للقصص حيث يمكن لحاضر الكتابة الكلام عن الماضي كما أشرنا في القصة الطفلية في سورية ومقارنتها بمثيلاتها في الوطن العربي والعالم ، واستشراف المستقبل في خاتمة قصيرة ٠٠ وهذا يجعلنا نؤكد مرة أخرى على أن للحلم حصته ، لكنه لا يستهدف حصة الواقع ، فالواقع الحياة عامة كالواقع التاريخي والانساني للمواطنين ٠

ومن الواضح ان من واجب كتابنا أن يحدثوا الطفل عن نفسه وأحلامه وخاوفه ورغباته وحاجته لأن يكون محبوبا ومعترفا به ، وأن نخرجه من عزلته الكبرى ، فقد لعبت الأسرة

---

١ - ليلى صايا سالم : ادب الاطفال بين الوعي والخيال
مجلة المؤتمر الادبي : العددان ١٥٩ + ١٦٠ عام ١٩٨٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العربية دورا سيئا في هذا المجال ، كما أغفلت المدرسية هذا الدور ... وفي اعتقادي ان هذه النقاط هامة وجوهرية بل هي الخيط الفاصل بين كتّابنا للاطفال وكتّاب الدول المتقدمة . ولا بأس أن نذكر هنا ما قالته آن ماري جوليفيت في نقد قصص آنا ماريا ماتيوت الاسبانية:

(1)
((هذه القصص القصيرة وتلك الروايات تعطي عبر محتوى مأساوي ذي بنية بسيطة وواضحة جدا لانفعالات يستطيع الطفل الاسباني وجميع أطفال العالم ، تعلم حسن ادراكها بنية السيطرة عليها بشكل أفضل . انها مثل حكايات كرنفالية قادرة على سل . القلب بالأمل . وبتعابير أخرى ألهمت تلك شي (هدية الحب) التي كان يتحدث عنها لويس كارول ؟)) .

هكذا يفهم كاتب القصة الطفلية كيف يكتب ، أما نحن فكما يقول الدكتور عبد الرزاق جعفر عن كثير من كتّاب القصة الطفلية في بلادنا :

(2)
((في اعتقادنا ان الجهل بأدب الطفولة يعزى الى جهلنا بالطفولة ذاتها . ان مجتمعنا لسنوات خلت ، كان يجهل معنى الطفولة . كنا

1ـ مسألة استيعاب الأعمال الفنيّة عند الأطفال ـ مجلة الموقف الأدبي العدد ـ 161 ـ عام 1984 .

2ـ مجلة المعلّم العربي السوري العدد الأول/1985/ ص 77 ـ 78 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نعد الطفل رجلا مصغرا . بل كنا نتوقعه أن يتصرف تصرف الأطفال لاعتقادنا انه اذا سلك مسلك الراشدين أصبح راشدا)) وقد كتب الكثيرون للأطفال وهم يجهلون هذه النفسية شعروا بها أم لم يشعروا ،فجاء أدبهم قاصرا فجا وهذا يشوّه نفسية الطفل ،لأننا حين نطالبه ((بتبني قيم الكبار ونرفعه فجائيا الى عالمنا نحرمه من صيرورته التدريجية في النمو وتحويله الى شخص كبير .))

والنتائج السلبية التي يمكن أن تترتب من جراء ذلك تكمن في انطواء الأطفال أو معظمهم على الأقل - على ذواتهم والانعزال عن مجتمع أقرانهم ومجتمع الكبار . كما يدفعهم الى العدوان والشرور والخوف ... وما الى ذلك من نقائض .

ولهذا نلح على أن يتجنب كتاب القصة الطفلية ذلك ، بدخولهم عالم الطفولة من أبوابه الواسعة .

ان نظرة الكاتب الساذجة للطفل تحوّله الى كاتب .

١- مسألة استهجاب الأعمال الفنية عند الاطفال

((شيرين مرزه)) . مجلة الموقف الادبي العدد ١٦١ عام ١٩٨٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير جاد ، وتخلق تباعدا كبيرا بينه وبين قرائه من الأطفال .
ومن العوامل الجوهرية التي لا بد وأن تؤخذ بعين الاعتبار معايشة الطفل في أجوائه ، واعتماد الأسلوب غير المباشر في الايصال ، واستعمال اللغة السهلة المنسجمة مع امكانياته ، وانتشاله من الغربة والتغريب نتيجة ما يقدّم له على الشاشة الصغيرة من مسلسلات أجنبية أو من المذياع ، دون أن نعزله عن الثقافات العالمية الأخرى . ومن الضروري ربط الطفل بقيمه التراثيّة والحضارية ، وخاصة اللغة وهذا لا يعني أن نحجب عنه ما يجري حوله في العالم من فنون ولغة وثقافة . بل نعني اذا ترجمنا أو اقتبسنا ما يصدر من تأليف للأطفال ونقلناه الى العربيّة ، أن نكون حذرين لا سيما اذا كانت هذه المؤلّفات ذات محتوى ثقافي متّصلة بحضارة خصوصية . والخطر يكمن هنا في تجميد هذه الحضارة لدرجة أن يتجاوب معها الطفل ويتعلّق بها ، فيتبنى حضارته ، وتنقطع الصلة العاطفيّة بينه وبين بيئته ، كأن نمجّد مثلا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- من خلال ترجمتنا لأدب أمريكي - العنف ازاء اليهود الحمر، أو التمييز العنصري

و ((بقدر ما ينبغي أن نكون حريصين (1)
على التفتّح على ما يصدر في العالم، بقدر ما ينبغي أن نتحرّز، ونجنّب الطفل ما يمكن أن يضرّ آجلا بتكوين شخصيته)) .

فالانتقاء والغربلة شرطان ضروريّان قبل أن نقدم على الترجمة والاقتباس. وهذا ينطبق أيضا على التراث الذى هو معين لا ينضب، اذ لا يجوز أن نقدّم للطفل كل ما فيه، بل يجب أن نحسن الاختيار والانتقاء.. فألف ليلة وليلة - مثلا - فيها مغالطات كثيرة، وتجن على المغربي الذى لا يوصف الا بالسحر والشعوذة.. ولا نريد لأطفالنا أن يأخذوا فكرة خاطئة عن أهلهم .

1- الكتابة للطفل في الوطن العربي - عبد المجيد عطيّة ، مجلة الموقف الأدبي : العددان (159 + 160) عام / 1984 / ، ص 99 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكما يقول الأستاذ عبد المجيد عطية [1] :

((فنشر قصة علاء الدين والمصباح كما وردت في الف ليلة وليلة بين الأطفال مضر بتكوين الشخصية التي نريدها لهم فلا بد اذن من اعادة كتابتها حتى تخدم الأهداف التربوية الحالية المقامة على حسب العمل وروح المبادرة والاعتماد على النفس)).

وفي هذا الصدد تلتقي الكاتبة ليلى صايا سالم مع الأستاذ عطية ؛ عندما تقول ((وفي تراثنا كثير من الحكايات تهين الطفل كما تحاور عقل الراشد وتمزج بين الوعي و اللا وعي. بين البواقي والخيالي . وتتناول مشكلات انسانية وطفلية مما يجعلها حكايات ناجحة في تحقيق النمو الداخلي للطفل والوصول به الى النضج والأمان العاطفي ، وهي تنتظر من يهذبها [2]

١- الكتابة للطفل في الوطن العربي - عبد المجيد عطية
— مجلة الموقف الأدبي العددان ١٥٩ - ١٦٠ عام ١٩٨٤ ص ١٠١

٢- أدب الاطفال بين الوعي والخيال . ليلى صايا سالم
مجلة الموقف الادبي السورية . العددان ١٥٩ - ١٦٠
عام ١٩٨٤ . ص ١٢١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينقي أجواءها ويستعيدها بأسلوب ولغة مناسبين للطفل .))

مما يؤكد ما ذهبنا اليه من وجوب حسن الاختيار والتهيئة واعادة الصياغة . فلا يمكن أن ندخل الطفل في منحنيات ومتاهات لا يستطيع أن يخرج منها أو أن يستفيد منها في تنمية ذاته وقد أكد الدكتور طبيب تميمي في محاضرته (أدب الأطفال والتراث)

((ان مسألة التراث(1) المطروحة تتحدد فيما يلي : توليد القدرة على الابداع في شخصية الطفل . واستخدام المنهج العلمي الجدلي لبلوغ تلك الشخصية . وان بلوغ الهدف المطلوب يكمن في ثلاث أقنية ، البساطة اللغوية ، والدقة الفكرية والحماسة العاطفية)).

ولا شك بأن ذلك ينطبق على التراث بأنواعه . التراث الانساني من حكايات وأساطير وأمثلة شعبية ، والجوانب الاجتماعية والسياسية ، للبيئة المعاصرة ، والتراث المحلي - والتاريخ وما جاء فيه من أخبار وحوادث .

---

(1) أدب الاطفال والتراث - في حلقة بحث لمنظمة طلائع البعث ، عقدت في حماه تاريخ ١٧-٢٣/١٢/١٩٨٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا لو يعمل كتاب القصة الطفلية على تعريف الطفل على الظلم الذي تعرض له التراث العربي من قبل المؤرخين والمستشرقين الذين تغافلوا - متعمدين - المساهمة الفعالة التي قدمها العرب في تراث الانسانية الأدبي .

ولا يمكن أن ننتقص أيضا من أهمية القصص المصورة التي تستهوى الطفل أكثر من غيرها . فقد شاعت قراءة مثل هذه القصص في جميع أنحاء العالم ، شاملة كل الطبقات ، وهذا النوع من القصص أول ما ظهر في بلاد ما بين النهرين التي كانت تمتد من شمال شرق سورية الى أواسط العراق حيث ظهرت أول قصة آشورية عام ٦٥٠ ق.م والتي نحتت لتروى قصة معركة خاضها ملك الآشوريين بانيبعل ، وهناك أمثلة أخرى نجدها على المسلات المصرية التي ما زالت قائمة حتى الآن كشواهد حية .

ولم يتبلور هذا الفن الا في العصور الوسطى ، وقد قلل من أهمية هذه القصص ابتداع الكتابة ((غير أن الأطفال مازال يستهويهم هذا الفن

---

١ - القصص المصورة - منيب حمدان - مجلة المرأة العربية العدد ٢٥٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمعتمد على تقسيم الأحداث ضمن رسومات مؤطرة متوالية ، ورسم الشخصيات كاريكاتوريا ، وتبسيط اللغة المستخدمة والمعتمدة على كلمات صوتية أى أن صوتها يحكي صوت الشيء الذي تصفه أو باللغة المحلية العامية المؤنسة)) .

ان القصة الطفلية في سورية .. من خلال ما اطلعناه في دراستنا التحليلية - آخذة في النمو والتطور محاولة أن ترقى الى المستوى المطلوب - رغم ما فيها - الآن - من فيضان كمي ، ومن شوائب وتطفل - اذ لا بد أن يأتي ذلك الوقت الذي يفتح فيه المجال لكل المبدعين على اختلاف مشاربهم ، ليضعوا القصة الطفلية في مكانها الملائم ، ويزرعوا فيها الحياة الطيبة بالحب ، والطمأنينة والدفء العاطفي ، ويغرسوا في ظلها القيم المرجوة ، لتستطيع هذه القصة بجدارة ، أن تنور عقلية الطفل ، وتخلق شخصيته المستقلة وتآلفه مع محيطه . فهو مستقبل هذه الأمة .

٤٢٠٢٧١

والله الموفق

×××××××××××××××××××××××××

××××××××××××××××××

××××××××××

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

آ ـ المراجع الرئيسيّة

الرقم المتسلسل	اسم الكتاب	المؤلّف	الناشر		العام
1ـ	المرآة السحريّة	عادل غضبان	مطبعة داغر	لبنان	. . .
2ـ	البلبل	عادل غضبان	دار المعارف	القاهرة	1976
3ـ	الثعلب المحتال	عبد المجيد زراقط	مجلة سامر ـ العدد 164	دمشق	11/18 1982
4ـ	أحزان الغزال الأشهب	أيّوب منصور	وزارة الثقافة والارشاد القومي	دمشق	1979
5ـ	نجمة الصبح	أيّوب منصور	وزارة الثقافة والارشاد القومي	دمشق	1976
6ـ	أحلام العصّاد الكسول	وليد معماري	وزارة الثقافة والارشاد القومي	دمشق	1980
7ـ	معطف الاختفاء	عادل أبو شنب	وزارة الثقافة والارشاد القومي	دمشق	1976
8ـ	ميمون هاويا	عادل أبو شنب	مجلة سامر ـ العدد 164	دمشق	11/18 1982
9ـ	عطاء السنابل	اسكندر نعمة	وزارة الثقافة والارشاد القومي	دمشق	1980
10ـ	أحلام الصغار	عزيز نصّار	اتحاد الكتّاب العرب	دمشق	1983
11ـ	حكايات شجرة التوت	وفيق خنسة	وزارة الثقافة والارشاد القومي	دمشق	1979
12ـ	هديّة عيد الأم	مراد السباعي	اتحاد الكتّاب العرب	دمشق	1978
13ـ	العصافير لا تحب الزجاج	لينا كيلاني	اتحاد الكتاب العرب	دمشق	1979
14ـ	رحلة حمار يدعى غندور	ليلى صايا سالم	وزارة الثقافة والارشاد القومي	دمشق	1981
15ـ	الأفعى والراعي	نظميّة أكراد	اتحاد الكتاب العرب	دمشق	1982
16ـ	الخروفان	رجاء الأرناؤوط	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع	الجزائر	1982
17ـ	النحلة	رجاء الأرناؤوط	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع	الجزائر	1982
18ـ	صوت من القاع	طالب عمران	وزارة الثقافة والارشاد القومي	دمشق	1979

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب ـ المراجع الاضافيّة

اسم المرجع	المؤلّف	الناشر	العدد	السنة
أدب الأطفال والفتيان في العالم	مجموعة مؤلفين ترجمة نادر ذكرى	دار الحوار/اللاذقية/ سورية		
الحيوان في قصص الأطفال	عربي العاصي	المطبعة التعاونية بدمشق		1981
مشكلات قصص الأطفال السورية	سمر روحي الفيصل	اتحاد الكتاب العرب في دمشق		1981
أدب الأطفال نظريا وتطبيقيا	عبد الله أبو هيف	اتحاد الكتّاب العرب في دمشق		1983
ملف المعرفة (أدب الأطفال)	عبد الله أبو هيف	وزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق		
علم نفس الطفولة والمراهقة	د . مالك سليمان مخول	مطابع مؤسسة الوحدة		1980 / 1981
مرجع في علم النفس	د . مصطفى فهمي	دار الثقافة في القاهرة		
المعلم العربي (مجلة)	مجدل علي	وزارة التربية السورية في دمشق (ص/ 126 /	5 /	1983
مجلة الموقف الأدبي	ليلى صايا سالم وعبد المجيد عطية	اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق	159 160	1984
مجلة الموقف الأدبي	شيرين مرزو	اتحاد الكتاب العرب في دمشق		1961 84
مجلة المرأة العربية (السورية)	د . طيب تيزيني	الاتحاد العام النسائي في دمشق		84
مجلة المرأة العربية (السورية)	منيف حمدان	الاتحاد العام النسائي في دمشق	259	84
صحيفة المساء الجزائرية (ص8)	زكريا تامر	الشركة الوطنية، الشعب، الصحافة. في الجزائر.		23 86
صحيفة المساء الجزائرية (ص8)	زكريا تامر	الشركة الوطنية، الشعب، الصحافة. في الجزائر.		3/ 86

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفهـــــــرس

الاهـــــداء	2
همســـــة	3
كلمة شـكـر وعـرفـان	4
ملـخّـص البحـــث	5
التمـهيـــــد	18
البـــاب الأول :	23
نشـأة القصّـة الطفليّـة، مـراحـل نمـوّهـا وتـطـوّرهـا .	
الفصـل الأول :	24
القصّـة الطفليّـة في سـوريّـة ومقـارنتهـا بمثيـلاتها في الـوطن العربي والعالـم	
الفصـل الثانـي :	57
مـعـالـم الطـريـق الى دنيـا الطفـولـة .	
البـــاب الثانـي :	97
دخـول دنيـا الطفـولـة من بـوّابـة العصـر .	
الفصـل الأول :	98
دراسات تطبيقيّـــة لـقـصص الأطفـال في ســوريّـــة .	
الفـصـل الثانـــي :	163
آفـاق القصّـــة الطفليّـــة وأسـاليـب تـطـويـرهـا .	
المـراجـــع الرئيسيّـــة	192
المـراجـــع الاضافيّـــة	193
الفـهـــرس	194

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit